المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الملك عبدالعزيز
كلية الآداب والعلوم الانسانية
قسم التاريخ

الدور السياسي والحضاري للأوصياء في الدولة المملوكية (٦٤٨هـ-٩٢٣هـ / ١٢٥٠م- ١٥١٧م)

The Political and Civilizational role of the guardians in the Mamluk Country

إعداد الباحث

صالح ظافر العمري

إشراف

أ.د. محمد سالم باعامر

١٤٤٤هـ/ ٢٠٢٣م

الدور الحضاري للأوصياء في الدولة المملوكية

شارك أوصياء العرش المملوكى بدور كبير في التطور الحضاري في هذا العصر، فقد تعددت مساهماتهم بشكل كبير، الأمر الذي كان له بصمة جديرة بالملاحظة، وفي الواقع فإن ما سبق وعرضناه من صراعات سياسية وأطماع وإشكاليات معقدة رافقت قضية السلطنة والحكم إلا أن ذلك لم يمنع من وجود بصمة حضارية رفيعة المستوى ساهم فيها الأوصياء على العرش، كما يتضح من المباحث التالية:

المبحث الأول: بعض مظاهر الحياة الاجتماعية في ظل حكم الأوصياء

بطبيعة الحال فإن التطورات الاجتماعية ومظاهر الحياة الاجتماعية تتطور تطورا بطيئا، فلا يمكننا أن نرسم صورة متكاملة عن المجتمع في مدة زمنية قصيرة متعلقة بالأوصياء، ونقر بأن هذه التطورات الاجتماعية منسوبة بالكامل للأوصياء وسياساتهم، إلا أن الباحث قد بذل جهد في هذا الإطار في سبيل حصر بعض الومضات المتعلقة بالجانب الاجتماعي للدولة خلال سيادة الأوصياء.

فعلى سبيل المثال نجد بعض القرارات التي تماشت مع الحياة الاجتماعية؛ ففي سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م استناب المعز أيبك بديار مصر الأمير علاء الدين البندقدار [١] وكانت

(١)لأمير علاء الدين أيدكين البندقداري، المعروف بـ البندقدار، ت684 :هـ1285 - م كان الأمير علاء الدين من مماليك السلطان الصالح نجم الدين أيوب على حماة، وتدرج في المناصب حتى عين في وظيفة البندقداروكان الظاهر بيبرس من جملة مماليكه وينسب اليه توفي في القاهرة، ودفن بالخانقاه التي كان قد بناها

مهمته الجلوس مع نواب دار العدل [٢] لترتيب الأمور، والعمل على كشف المظالم ورفعها عن كاهل الناس، كما أصدر قرارات بمنع تداول الخمر او بيعه وشربه [٣].

إن المعز أيبك كان لديه حس سياسي يتماشى مع المجتمع وذلك من خلال القيام باحتفالات لها مردود معنوي إيجابي على نفوس العوام؛ ففي اليوم التالي لتوليه عام (٦٤٨هـ/١٢٥٠م) نزل السلطان المعز أيبك من قلعة القاهرة إلى التربة الصالحية المدفون بها الصالح نجم الدين أيوب، واصطحب معه الأشرف مظفر الدين موسى [٤]، وسائر المماليك البحرية، والأمراء، والقضاة، والأعيان. وأغلقت الأسواق في القاهرة ومصر، وأقيم المأتم بالدفوف، واستمر العزاء حتى يوم الاثنين [٥]. ولعل قيام السلطان المملوكي المعز

---

(٢) دار العدل: عرف إيوان قلعة الجبل بدار العدل فيما بعد، أنشأه السلطان المنصور قلاوون، وجدده ابنه الملك الأشرف خليل، فعُرف بالقاعة الأشرفية، واستمر جلوس نائب دار العدل به إلى أن هدمه أخوه السلطان الناصر محمد بن قلاوون، ثم أعاد بناءه في سنة ٧٣٠هـ/١٣٢٩م، وزاد فيه وأنشأ به قبة جليلة وأقام عمدا عظيمة ونصب في صدره سرير الملك، وكان الإيوان رحبة فسيحة، فجاء من أجل المباني. المقريزي: الخطط المقريزية، ج٣، ص٤٧، ٤٨؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٩، ص٥١، هامش ١؛ ماجدة الغمري: قلعة الجبل، ص٢٢؛ *Willaim Lyster: The Citadel of Cario*، *p. 17.*

(٣) المقريزي: السلوك، ج١، ص٣٧٣، ٣٨٠.

(٤) الأشرف مظفر الدين موسى يوسف الملك المسعود بن الملك الكامل بن محمد الملك العادل الأول الأيوبي هو تاسع ملوك الدولة الأيوبية في مصر وأخرهم تولى الملك عام ٦٤٨ هـ الموافق ١٢٥٠م وكان في السادسة من العمر وقيل العاشرة عندما عين سلطانًا على مصر، وكانت سلطته شكلية فقط، وكان يحكم مع عز الدين أيبك، واسمهما يذكران في الخطبة والسكة وهما علامة السلطان الرئيسية، وكانت التواقيع تخرج على صورة: «رسم بالأمر العالي المولولي السلطاني الملكي الأشرفي والملكي المعزي». عزله المعز أيبك وظل اسمه يذكر في الخطبة حتى عام ٦٥٢ هـ الموافق ١٢٥٥. فؤاد صالح السيد: معجم ألقاب السياسيين في التاريخ العربي والإسلامي، ص٦٧.

(٥) سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج٨، ق٢، ص٧٨٥؛ المقريزي: السلوك، ج١، ق٢، ص٣٧١، أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج٧، ص٢٣؛ الحنبلي: شفاء القلوب، ص٣٤٠.

أيبك بنقل جثمان أستاذه السلطان الصالح نجم الدين أيوب في هذا الاحتفال كان لتهدئة الرأي العام خاصة وأنه قطع حجة الأيوبيين الذين اتهموه باغتصاب السلطنة بأن أشرك الملك الأشرف مظفر الدين موسى حفيد الملك الكامل محمد، وأعلن أن مصر تابعة للخلافة العباسية (٦).

الجدير بالذكر أن المعز عز الدين أيبك قد اتفق مع كبار رجال الدولة على نقل تابوت الملك الصالح نجم الدين أيوب من قلعة جزيرة الروضة إلى تربته التي بنيت له بجوار مدرسة الصالحية فخرج الناس يوم الجمعة إلى قلعة الروضة وحملوا السلطان منها، وصلوا عليه بعد صلاة الجمعة، وكان جميع العسكر قد لبسوا البياض وأقيم عزاؤه ودفن ليلا، وعاد السلطان المعز عز الدين أيبك والأشرف مظفر الدين موسى الأيوبي الى قلعة الجبل (٧).

---

(٦) ابن العميد: أخبار الأيوبيين، ص٣٩؛ أبو المحاسن: النجوم الزهرة، ج٧، ص٥؛ جمال الدين الشيال: تاريخ مصر الإسلامية، ج٢، ص١١٥-١١٦؛ عبد العزيز سالم وسحر سالم: تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص٢١٤.

(٧) قلعة الجبل: أمر الناصر صلاح الأيوبي نائبه بهاء الدين قراقوش ببنائها على سفح المقطم سنة٥٦٣هـ/١١٦٧م، ولكن لم يكتمل بناؤها إلا بعد ثلاثين عاماً في عهد ابن أخيه الملك الكامل، لتكون له معقلاً ومحصناً ومقرًا للحكم، أنشأ بها العديد من القناطر والأسوار، وفي عهد المماليك أصبحت مقرًا للحكم وأدخلوا بها القصور والحمامات وأصبحت مدينة رائعة، ولها أكثر من باب، أحدها مواجه للقاهرة، والآخر هو باب القرافة، وباب ثالث من جهة القرافة وجبل المقطم وهو أقل أبوابها سالكا. للمزيد نظر. ابن سعيد المغربي: النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة القسم الخاص بالقاهرة من كتاب المغرب في حلى المغرب، تحقيق حسين نصار، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٠م، ص٣٩٠؛ العمري: مسالك الأبصار، ج٣، ص٣٣٠ - ٣٣٤؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٣٧٢-٣٧٥؛ المقريزي: الخطط المقريزية، ج٣، ص٤٠ - ٤٣؛ السحماوي: الثغر الباسم، ج١، ص٢٨٠؛ خالد عزب: أسوار وقلعة صلاح الدين، ص ٥٥، ٥٩، ٦٠، ٦٩، ٧١؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية، ج١، ص٦٩، ٧٠؛ أولج فولكف: القاهرة مدينة ألف ليلة وليلة، ص٨١ - ٩٢؛ *Willaim Lyster: The Citadel of Cario. pp. 5-9.*

أما المنصور قلاوون فقد سعى للتودد إلى فقراء الدولة والصوفية، فنجده في بعض المواقف يطلب الدعاء من شيوخ الصوفيه، فعندما مرض ابنه علاء الدين علي [٨] قام بتوزيع الصدقات على الفقراء، وطلب من الشيخ الصوفي محمد المرجاني أن يدعو لابنه [٩].

كما قام المنصور قلاوون بإلغاء ضريبه الدولية [١٠]، والتي كانت من أجحف أنواع الضرائب التي يتم جمعها من الرعية، وكانت قد استحدثت منذ ثماني عشرة سنة [١١].

وكان على كاهل الفلاحين الكثير من الأموال والضرائب التي أجبرتهم على هجر القرى وترك الأراضي الزراعية مما جعلها تتعرض للجفاف والخراب، فقام المنصور قلاوون بإعفائهم من بعض الضرائب التي كانت تفرض عليهم، مما جعلهم يعودون مرة ثانية لتعمير وزراعة تلك الأرضي الزراعية [١٢]، مما يدل على أن المنصور قلاوون كان حريصًا كل الحرص على أن يبقى الفلاحون في أراضيهم، وأن تستمر الأرضي الزراعية في العطاء والمحافظة عليها، ويتضح من ذلك أنه كان يراعي حال الفلاحين الاقتصادية.

---

(٨) أنجب السلطان المنصور قلاوون أربعة أولاد من الذكور وابنتين. الأبناء الذكور هم علاء الدين أبو الفتح علي وكان علاء الدين علي أحب الأبناء لقلب قلاوون فقام بالعمل على توريثه الحكم عن طريق سلطنته وتوليته العهد في سنة ١٢٨٠، ولقبه بالملك الصالح ثم مرض فجأة ومات عام 1288

المقريزي: السلوك، ج٢ ص١٣٦.

(٩) آدم صبره: الفقر والإحسان، ٣٤.

(١٠) الدولية هي مال كان يدفعه الأغنياء الذين يستخدمون العجلات في الري أو الغز أو صناع السكر، وبهذا تكون ضريبة على الآلات المستخدمة في الصناعة، السلوك، ج١، ق٢، هامش ص ٦٦٤.

(١١) شافع بن علي الكاتبي: الفضل المأثور من سيرة السلطان المنصور، نسخة مكتبة البودليان (أكسفورد) رقم ٤٢٤، تحقيق د/ عمر عبدالسلام تدمري، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ/ ١٩٩٨ م.، ص ١٧٥.

(١٢) شافع بن علي الكاتبي: حسن المناقب، ص ١٧٣.

عام ٦٨٣هـ/١٢٨٣م في عهد المنصور قلاوون ارتفعت أسعار القمح وسار سعر الأردب من القمح نحو خمسة وثلاثين درهماً فأراد أن يخفف عن الناس، فقرر زيادة العرض في السوق فأشار على الأمراء بأن تفتح مخازن القمح بمصر، التي تمتلكها الدوله وأن يباع القمح منها بخمسة وعشرين درهماً. فقال له أحد الأمراء (إن قلوب الناس متعلقة بهذه المخازن، فإنها خزانة المسلمين كلما نظروا إليها شعروا بالأمان من الجوع، فمن الحكمة أن يقوم كل الأمراء بفتح مخازنهم وبيع القمح بخمسة وعشرين درهماً، والأمراء لا يضرهم إذا نقصت مخازنهم نصف ما فيها) فأعجب السلطان المنصور قلاوون بذلك، وانحط السعر إلى عشرين ثم إلى ثمانية عشر، واستمر الحال كذلك حتى قدم القمح الجديد من خارج مصر [١٣].

وفيما يتعلق بزين الدين كتبغا فقد عُرف عنه حرصه على الأخلاق العامة وعدم نشر الفساد، ويتضح ذلك من خلال ما قام به زين الدين كتبغا عندما انتشر الفساد في البلاد، واختلط النساء بالرجال في الأعياد والمواسم والليالي المقمرة حيث اعتادت النساء على الخروج للمقابر والقرافات[١٤] في هذه الأوقات، وكذلك ليالي الجمع من كل أسبوع وكانوا يحملون معهم الريحان والزهور، وكن يقمن الولائم مع الأهل والأصدقاء، ومعهن أولادهن وأزواجهن، ففي تلك الأوقات كان يكثر الغناء والرقص، فلم ترض تلك الأفعال الأمير زين الدين كتبغا، فما كان منه إلا أن أمر أن لا يجتمع الرجال والنساء في ليالي الجمع

(١٣) المقريزي: السلوك، ج١، ص ٧١٧- ٧١٨؛ عثمان عطا: الأزمات الاقتصادية، ص ١٦٠.

(١٤) القرافة أماكن توجد بها قبور لأهل البيت والصالحين والعلماء والفقهاء وغيرهم؛ لها مكانة روحية ودينية في نفوس المسلمين، لذلك يقصدها العامة للزيارة والتبرك. محمد محمد الكحلاوي: آثار مصر الإسلامية في كتابات الرحالة المغاربة والأندلسيين، ص١٠١، الدار المصرية اللبنانية، ط١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

بالمقابر و القرافات، وهذا يدل على حرصه على عدم انتشار الفساد في البلاد والحفاظ على الأوضاع الداخلية للبلاد [١٥].

وعلى جانب آخر فقد كانت الأزمة الاقتصادية في عهد زين الدين كتبغا من أعظم الأزمات وأكثرها فتكًا بالمصريين، فقد أرجع المقريزي بداية تلك الأزمة إلى ماجرى في مدينة برقة الليبية عندما تعرضت للجفاف الشديد، وانتشر الجوع بين أهلها، فما كان منهم إلا أن خرجوا إلى مصر، وكان عددهم نحو ثلاثين ألف فرد، فهلك معظمهم جوعًا وعطشاً، وبهذا لم يصل لمصر إلا القليل منهم [١٦]. كذلك ظهر هذا الجفاف في بلاد الشام عندما تأخر سقوط الأمطار الموسمية في فصل الخريف، فلم يزرع الزرع وكان هذا بدايته في الشام، وفي تلك الظروف وفي عام ٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م انخفض منسوب مياه النيل، فارتفعت الأسعار [١٧].

بالإضافة لذلك اضطراب منسوب مياه النيل؛ ففي سنة ٦٩٥هـ/١٢٩٥م بلغ منسوب الماء في النيل ستة عشر ذراعاً ثم هبط من ليلته فأعقبه غلاء عظيم [١٨]، يقول المقريزي: "اشتد الغلاء وبلغ سعر أردب القمح إلى مائة وثمانين درهماً، والشعير وصل سعر الأردب المائة درهم، والفول بتسعين درهماً، وبيعت البطيخة الصيفية بمائة درهم، ولم يقتصر الأمر على البشر فقط، بل شح علف الدواب، واشتدت الأزمة لدرجة أن الكلاب والقطط هلكت

([١٥]) أحمد عبدالرازق: المرأة في مصر في العصر المملوكي، ص ٤٩.

([١٦]) المقريزي: إغاثة الأمة، ص ١٠٦.

([١٧]) المقريزي: إغاثة الأمة، ص ١٠٧.

([١٨]) ابن تغري بردي: النجوم، ج٨، ٦٨.

من الجوع، وهذا يدل على مدى شدة الأزمة والمجاعة التي لحقت بالناس في ظل حكم زين الدين كتبغا"[١٩].

تلك الظروف جعلت زين الدين كتبغا يضع عدة إجراءات من أجل تخفيف آثار تلك المحنة على العوام والفقراء، فعمل على استيراد القمح بكميات كبيرة من الشام وجزيرة صقلية والقسطنطينية ، إذ بلغت نحو ثلاثمائة ألف أردب، كذلك أمر بتفريق الفقراء على الأمراء والأغنياء مراعياً حالة كل منهم[٢٠] فقام بجمع الفقراء وتوزيعهم على الأمراء كل أمير حسب إمارته، فأمير مائة يتولى أمر مائة فقير، وأمير خمسين يتولى أمر خمسين فقيراً، وكان كل منهم ينفق على الفقراء كلاً على حسب قدرته وسعته، فمنهم من كان يعطي لحماً، ومنهم من كان يعطي خبزاً، ومنهم من كان يعطي كعكا[٢١]. وبهذا كان زين الدين كتبغا قد سار على نهج الظاهر بيبرس البندقداري في محاولة حل تلك الأزمة الاقتصادية والمجاعة التي لحقت بالشعب في عهده.

ويقول المقريزي أن احد اسباب تلك المجاعة هو انخفاض منسوب مياه النيل الذي أدى إلى زيادة الأزمة فتزايدت الأسعار، وساءت ظنون الناس، وكثر الشح والبخل، وضاقت الأرزاق، ووقفت الأحوال، واشتد البكاء وعظم ضجيج الناس في الأسواق من شدة الغلاء[٢٢] ، بينما يذكر العيني أن السبب في ذلك يرجع إلى مبالغة زين الدين كتبغا وحاشيته في أخذ الأموال والرشاوي، فحصل للناس بسبب ذلك ضرر عظيم، وضاقت

([١٩]) السلوك، ج٢، ص٣١٨

([٢٠]) عثمان عطا: الأزمات الاقتصادية، ص٢٠٩.

([٢١]) المقريزي: إغاثة الأمة، ص ١٠٨.

([٢٢]) السلوك، ج٢، ص ٣٢١

أحوال العباد، ويتضح من ذلك أن العيني قد ألقى بالمسؤولية كاملة على زين الدين كتبغا، وأنه نظرًا لسوء إدارته وإفساده في البلاد وأخذ الاموال والرشاوي التي كانت سبباً في ازدياد شدة هذه الأزمة.

وقد تناول العيني ذلك وأخذ في سرد الأحداث عن الوباء، فذكر أنه كان يخرج من كل باب من أبواب القاهره سبعمائة ميت، ويغسل من الغرباء نحو مائة وخمسين ميتاً، ثم أخذت أعداد الأموات في تزايد مستمر حتى أصبحت الموتى تدفن دون غُسيل ودون كفن، وكان الميت يدفن بثوبه ثم بعد أن يوضع في حفرته يؤخذ ثوبه حتى يلبس لميت آخر، بل كان يكفن بالثوب الواحد عدة أموات [٢٣].

وعجز الناس عن ستر الأموات في القبور لكثرتهم وقلة من يحفر لهم، فتم عمل حفر كبيرة لوضع الأموات فيها من: (الرجال والنساء والصبيان) حتى تمتلئ الحفرة، ثم توارى بالتراب. وكان يتم تجميع الأموات وانزالهم إلى الحفر، وكانوا يأخذون عن كل ميت نصف درهم، وترمى الأموات في الحفر من غير غسل ولا كفن، ورُمي كثير من الأموات في الآبار حتى تمتلىء بهم ثم تردم، ومات كثير من الناس على أطراف البلاد في الطرقات حتى أكلتها الكلاب، وتم حصر عدد من مات في شهرٍ واحدٍ في سنة واحدة نحو مائة ألف وسبعة وعشرين ألف إنسان. وكثر الموت بين سكان مصر بالمدن والقرى [٢٤].

([٢٣]) عقد الجمان، ج١، ص٣٠٣.

([٢٤]) المقريزي: السلوك، ج١، ص ٨١٤، ٨١٥.

وعودة إلى السياق الاجتماعي والاهتمام بحياة الفقراء والمهمشين؛ فقد قام الأمير الوصي بيبرس الجاشنكير ببناء الخانقاوات[٢٥]، بدءاً من عام ٧٠٦هـ/ ١٣٠٦[٢٦]، وسيعود الباحث لمناقشة أمر الخانقاه بالتفصيل، إلا أن ما يعنينا هنا هو السياق الاجتماعي المرافق لإنشاء الخانقاه؛ إذ بدأ ببناء خانقاه و قام بتقرير نحو ٤٠٠ صوفي في هذه الخانقاه، ونحو ١٠٠ جندي، وجعل بها مطبخاً، به جناح لإعداد الطعام للصوفية، وبه وزان يقوم بوزن الطعام والخبز للصوفية ليحصل كل منهم على نصيبه حسب شروط الوقف، ولقد حدد بيبرس الجاشنكير تلك الأوزان بثلاثة أرطال من الخبز، وثلاثة أرطال من اللحم الضأن، ولكن كان شيخ الخانقاه يتميز في ذلك بعض الشيء فكان يضاعف له الكمية. كذلك كان يصرف للمتصوف درهمان ونصف في الشهر برسم غسيل ثيابه، وكذلك درهم برسم دخوله الحمام في كل شهر[٢٧].

([٢٥]) هي كلمة معربة عن الفارسية بمعنى رباط الصوفية، وهي البيت أو الدار التي يختلي فيها الصوفي للعبادة أو يقولون بيت الدراويش الذي يجتمعون فيه للذكر والعبادة، ولكنها تحولت في العصر المملوكي إلى عمائر مختلفة تشمل على عدة مؤسسات مثل: المسجد، والمدرسة، والضريح، وكان الهدف من إنشاء الخانقاوات مزدوجا هدفا دينيا وهدفا تعليميا؛ ولقد دخلت هذه الكلمه الى اللغة العربية مع انتشار التصوف وأول من أحدثها في مصر صلاح الدين الأيوبي عام ٥٦٩هـ/ ١٢٧٠م، ثم عرفة باسم التكايا ومفردها التكية في العصر العثماني، حسن الباشا: الآثار الإسلامية، ص ١٣٨، دار النهضة، ١٩٩٠م ؛ السبكي: الطبقات الشافعية، ص ٧٧ ؛ عاصم محمد رزق: معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، ص ٩٣، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠ ؛ عمر عبدالسلام تدمري: تاريخ وآثار مساجد ومدارس طرابلس في عهد المماليك، ص ٣٤٠، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٦م ؛ علي منصور نصر شهاب: الحياة العلمية في القدس في القرن الثامن الهجري، ص ٣٥، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، رقم ٢، ٢٠٠٧.

([٢٦]) ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٣، ص ٤٧٢.

([٢٧]) وثيقة بيبرس؛ محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ٦٤٨ – ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م،

وكذلك كان للأمير بيبرس الجاشنكير من الأوقاف والصدقات الكثير[٢٨]، ويتضح ذلك من خلال وقف وقفه في ٢٦ شوال لعام ٧٠٧هـ/١٣٠٧م، وملخص ذلك أنه وقف القيسارية[٢٩] وأراضي زراعية بالخيرية والعادلية، وأراضي وبناء بالقاهرة فيما بين الخانقاه والإسطبل وحوانيت بخط النحاسين، وبرجين بين القصرين، وجميع أراضي الناحية بالعادلية من ضواحي دمياط وذلك حسب وثيقة وقفية [٣٠]، ولم تكتفِ تلك الوثيقة بذكر الأوقاف التي أوقفها بيبرس الجاشنكير، ولكنها أيضاً ذكرت الصوفية والفقراء الموجودين بالرباط، فتذكر أنه كان يتم توزيع نصف رطل مصري من الحلوى على الصوفية والفقراء بالرباط، و على أرباب الوظائف في ليلة عاشوراء، وليلة أول رجب، وليلة النصف من شعبان، وليالي الجمع من شهر رمضان، وليلة ختم القران في ليلة التاسع والعشرين من شهر رمضان المبارك . ولم يكن ذلك فحسب، بل كانت تحدد نوع الحلوى، إذ كانت تلك الحلوى عجمية معجونة من الدقيق الطيب المستخرج من القمح مع العسل المحلى بالسكر والزعفران واللوز [٣١].

كما كان الوصي الأمير بيبرس الجاشنكير قريباً من بعض رجال الدين أصحاب الشعبية دائم التودد إليهم، وكان من أبرزهم الشيخ نصر المنبجي الذي استمد نفوذه من

---

(٢٨) ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٣، ص ٤٧٢.

(٢٩) هو الخان الكبير الذي يشغله جماعة من التجار، وهي منشأة مغلقة بالأبواب، وتباع فيها البضائع الفاخرة، وبصفة خاصة الأقمشة، وقد تكون مكاناً يحتوي على غرف ومخازن للتجار، وكانت لكبار التجار، وتخصص لنوع معين من التجار. (زين العابدين نجم: معجم الألفاظ، ص ٤٣٩).

(٣٠) حجة رقم ٢٣ قلم رقم ١٣ بدار الوثائق المصرية محفظة رقم /٤/ب /٥.

(٣١) وثيقة بيبرس، بدار الوثائق المصرية، حجة رقم ٢٣، فيلم رقم ١٣.

سلطته الروحية على كبار أمراء وأعيان الدولة ، فقد كان زاهدا كثير الصلاة والذكر والحج والمجاورة منقطعا بزاويته بالحسينية خارج باب النصر ظاهر القاهرة.[٣٢] واستطاع الشيخ نصر المنبجي أن يستميل الأمير بيبرس الجاشنكير إلى أفعال الخير وقضاء حوائج الناس، وكان أكثرهم به خصوصية واجتماعا لانه كان تلميذه [٣٣] ويفرط في محبته ويعظمه [٣٤] حتى وصف بيبرس الجاشنكير بأنه "يتغالى في حبه"[٣٥].

أما الأمير قوصون الساقي فقد تعددت الاحتفالات التي قام بها وخصوصاً فيما يتعلق بموكبه، فقد كان يركب في ثلاثمائة فارس ، كما كان دائم المنح والعطايا في مواكبه، فكان يفرق كل سنة ثلاثين كيس ذهب ومائة قباء، كما كان دائم الإحسان في الأعياد والمناسبات فكان يفرق في عيد الأضحى ألف رأس من الغنم وثلاثمائة رأس بقر[٣٦]، كذلك عمل الأمير قوصون الساقي على تيسيير أمور العامة في عملية البيع والشراء؛ فإذا به ينادي في القاهرة ومصر أن يتعامل الناس بالفضة والذهب، فسر الناس بذلك فإنهم كانوا منعوا من المعاملة بالفضة، ولا تكون معاملتهم إلا بالذهب، وبذلك أصبحت العملة حرة[٣٧].

(٣٢) النويري: نهاية الأرب، جـ٣٢، صـ٣٠٨ وذكر أنه قدم إلى الديار المصرية بعد ٦٦٠هـ؛ البرزالي: المقتفى، جـ٤، صـ٣٧٢، ٣٧٣؛ ابن حجر: الدرر الكامنة، جـ٤، صـ٣٩٢.

(٣٣) الصفدي: الوافي بالوفيات، جـ٢٧، صـ٤٤؛ أعيان العصر، جـ٥، صـ٥٠٢.

(٣٤) ابن حجر: الدرر الكامنة، جـ٢، صـ١٤٧.

٣٥) الذهبي: العبر، جـ٤، صـ٥٥؛ ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، جـ٦، صـ٥٢.

(٣٦) المقريزي: السلوك، ج٢، ص٦١٥؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٧٦

(٣٧) المقريزي: السلوك، ج٢، ص ٥٥٢.

ومن الغريب أن الأمير قوصون الساقي مع كثرة إحسانه كان غير محبوب، بل مبغضا في قلوب الناس جميعا حتى صاروا يلهجون بها [٣٨].

ومن الجدير بالذكر أن الأمير قوصون الساقي كان قد تصدى بكل حسم لعناصر الشغب في المجتمع، وهو ما تنقله لنا حوادث سنة ٧٤٢هـ/١٣٤١م عندما طلب الأمير قوصون من مقدم المماليك، مملوكًا من الطباق جميل الصورة، فمنعه رفاقه بالطباق من أن يخرج من عندهم، فتلطف بهم مقدم الطباق حتى أخذه إلى الأمير قوصون الساقي ثم عاد الأمير قوصون الساقي في الغد وطلب أربعة مماليك آخرين، فامتنع رفاقه أيضا، وقام منهم نحو مائة مملوك، وأخرجوا مقدم الطباق من الطباق على أقبح وجه [٣٩]، وكان نتيجة ذلك، أن الأمير قوصون الساقي نفسه قد فقد هيبته بين المماليك السلطانية، وبين العامة الذين هجموا على بيته وكسروا بابه واخذو في الصياح على نسائه، وأفحشوا في سبهن. ولكن الأمير قوصون الساقي تمكن منهم، وسمر بعضهم على باب زويلة [٤٠].

وكيفما كان الأمر فتتعدد الإشارات المتعلقة بمظاهر الحياة الاجتماعية خلال سيادة الأوصياء، فنجد إشارات تتعلق باحتفالات الأمراء بعيد وفاء النيل، منهم الأمير يلبغا العمري، فيقول ابن إياس في حوادث شهر ربيع الأول سنة ٧٦٨هـ/١٣٦٧م: "وفي هذه الأيام

---

(٣٨) المقريزي: السلوك، ج٢، ص٥٧٤؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٢٤.

(٣٩) أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٢٥.

(٤٠) المقريزي: السلوك، ج٢، ص٥٧٧

تزايدت عظمة الامير يلبغا العمري إلى الغاية، ففتح السد في هذه السنة، وكان له يوم مشهود، ووقع له موكب حافل في ذلك اليوم [٤١].

وفيما يخص وصاية الأمير الظاهر برقوق التي كانت زاخرة بمظاهر الحياة الاجتماعية؛ أذ أصدر العديد من القرارات ذات البعد الاجتماعي، فقد أمر بإطلاق سراح المساجين من المديونين، فأفرج عنهم جميعهم كما منع القضاة من الحكم بالسجن على أي صاحب دين وكذلك الغارمين؛ نظراً لظروف الغلاء ووقوف الحال؛ حيث زاد سعر الغلال، وفقد الخبز من الأسواق، وبيع القمح بمائة وخمسة دراهم، والدقيق بثلاثين درهما، فكان قراراه قراراً واعياً ذا حس اجتماعي مستشعراً هموم الناس ، وذلك بمنع حبس أي مديون تقديراً للظرف الاجتماعي والاقتصادي.

ولقد كان واضحاً كيف كان الوصي الأمير الظاهر برقوق يعمل دائماً على التودد للعامة والتقرب إليهم ويدافع عنهم ويحسن إليهم لكي يكسب عطفهم وحبهم مماأدى إلى تعصبهم إليه [٤٢] ، يتضح ذلك من حادث ذكره المقريزي فيقول إنه في شهر صفر عام ٧٨١ هـ/١٣٧٩م، رفع أهل منوف [٤٣] على متوليهم عدة مرافعات، فطلبه الأمير الظاهر برقوق

---

(٥) بدائع الزهور، ج١ ص ٢٥١.

(٤٢) علاء رزق: عامة القاهرة، ص ٦٧، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، ط١، ٢٠٠٣.

(٤٣) هي مدينة مصرية تقع بمحافظة المنوفية شمال جمهورية مصر العربية، والمدينة قاعدة مركز منوف.وتبعد عن القاهرة حوالي ٦٠ كم، وعن شبين الكوم حوالي ٢٠ كم.

وبعث بالكشف عليه، فعادوا عليه بشنايع قام بها فضربه ضربا مبرحا، وألزمه بأن يرد للناس ما أخذ من أموال [٤٤]، وكان الأمير الظاهر برقوق شديد العقاب لمن يتلاعب بالعامة.

كذلك من أعمال الأمير الظاهر برقوق توفير سبل الراحة للمسافرين سواء في مصر أوبلاد الشام، فإذا به يشرع في عمارة جسر الشريعة الذي يوجد بطريق الشام عند قرية أريحا [٤٥] على النهر، وجعل طوله مائة وعشرين ذراعاً، وعرضه نحو عشرين ذراعاً، وأنفق عليه الكثير من المال مما كان له أكبر الأثر والنفع والاستفادة. يتضح هذا من مقولة ابن إياس: "وحصل به غاية النفع للمسافرين" [٤٦]. واستمراراً من الأمير الظاهر برقوق في سياسة كسب حب العامة بكل الطرق؛ فقد بلغه في يوم السبت ٣ ربيع الآخر، ٧٨٢هـ/ ١٣٨٠م أن الوزير الملكي منع صرف بعض الصدقات والرواتب لأصحابها مستغلاً احتراز الأمير الظاهر برقوق على نفسه من النزول للعامة، مما جعل أهل الرواتب والصدقات يستغيثون بالوصي الظاهر برقوق على هذا الوزير الذي أخر عنهم الصرف، فما كان من الظاهر برقوق إلا أنه عندما عاد إلى الإسطبل طلب الوزير الملكي ونائبه وضربهما وأسلمهما إلى الأمير بهادر شاد الدواوين، ولكن لم يستمر ذلك طويلاً إذ سرعان ماأمر بالإفراج عنهم [٤٧].

([٤٤]) السلوك، ج٣، ص ٣٥٥.

([٤٥]) هي مدينة فلسطينية تاريخية قديمة تقع في الضفة الغربية بالقرب من نهر الأردن وعند شمال البحر الميت، والتي يعود تاريخها إلى ١٠,٠٠٠ سنة قبل الميلاد

([٤٦]) بدائع الزهور، ج١، ص ٢٧٩.

([٤٧]) المقريزي: السلوك، ج٣، ص ٣٩٠.

كذلك أمر الأمير الظاهر برقوق بإبطال ضمان الملح من عيناب ومن الكرك، وأبطل ضمان الغلال من الكرك ومن منية بني الخصيب من أعمال الصعيد، وأبطل ضمان الدقيق من البيرة، وأبطل في تلك السنة عدة مكوس كانت بالديار المصرية، وكان يحصل منها غاية الضرر للناس [٤٨]. كذلك أبطل ما كان مقررا على أهل دمياط وفارسكور وبلطيم من مبلغ كانوا يردونه كل سنة ستين ألف درهم [٤٩]. كذلك في ذي القعدة ٧٨٣هـ / ١٣٨١م ارتفع سعر الغلال في سائر الحبوب حتى بلغ سعر الأردب من القمح ستين درهماً، وعز وجود الخبز في الأسواق مما جعل الناس تتخاطف الخبز من الأفران، فعندما رأى الأمير الظاهر برقوق هذا أسرع وأمر بفتح المخازن، وبيع القمح بسعر جيد مما جعل الناس تميل ميلاً عظيماً نحو الأمير الظاهر برقوق واستطاع أن يكسب ميلهم إليه [٥٠].

أما عن فترة الوصي الظاهر ططر فقد حاول حماية المجتمع من الآفات والأمراض الاجتماعية؛ فنجد أنه في سنة ٨٢٤هـ/١٤٢١م نودي بكف الناس عن المنكرات كلها، فكثر الدعاء للوصي الظاهر ططر، وتماشت أحوال الناس، وكثر البيع والشراء فراجت البضائع وربحت التجار لتوسع أهل الدولة مما صار إليهم [٥١].

([٤٨]) ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، ص ٢٧٩

([٤٩]) ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، ص ٢٨٠.

([٥٠]) ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، ص ٢٩٨.

([٥١]) المقريزي: السلوك، ج٤، ص٥٦٦.

المبحث الثاني: حركة الإنشاء والعمران للأوصياء في الدولة المملوكية:

يرتبط العمران بالمجتمع ارتباطاً وثيقاً حسب نظرية ابن خلدون، وفي واقع الأمر فقد ازدهرت الحركة العمرانية، وكثرت المنشآت في عهد الأوصياء في عصر سلاطين المماليك؛ وذلك على النحو التالي:

١- قصر بشتاك الناصري:

هو من جملة القصر الكبير الشرقي الذي كان مسكناً للحكام الفاطميين، ويسلك إليه من الباب الذي كان يعرف في أيام عمارة القصر الكبير في زمن الحكام الفاطميين بباب البحر، ثم عرف بباب قصر بشتاك، تجاه المدرسة الكاملية، وما زال إلى أن اشتراه الأمير بدر الدين بكتاش الفخري أمير السلاح، وأنشأ دورا وإصطبلات ومساكن له ولحواشيه، وكان في موضع هذا القصر عدة مساجد، فلم يتعرض لهدمها، وأبقاها على ما هي عليه، ثم أخذ الأمير قوصون الساقي الدار البيسرية[٥٢]؛ لذا أحب الأمير بشتاك الناصري أن يكون له أيضا دار بالقاهرة؛ وذلك أن الأمير قوصون الساقي و الأمير بشتاك الناصري كانا يتنافسان مع بعضهما البعض، ويتفاخران بأحوالهما، ويتضادان في سائر الأحوال، وكان رغبة كل منهم أن يتفوق على الآخر، فكان الأمير بشتاك الناصري يرغب في تملك قصر الأمير بدر الدين بكتاش الفخري أمير السلاح حتى اشتراه من ورثته، وأخذ من السلطان الناصر محمد

(٥٢) القاعة البيسرية: أنشأها السلطان الناصر حسن سنة ٧٦١هـ/١٣٥٩م، وتأنق في عمارتها فعمل لها الكثير من الفرش والحصر وتسعة وأربعين ثريا برسم وقود وقنديل مطلية بالذهب، وكان ارتفاع بناء هذه القاعة طولا ثمانية وثمانين ذراعاً، وأنشأ بها السلطان برجاً من العاج والأبنوس ليبيت فيه. المقريزي: الخطط المقريزية، ج٣، ص٦١.

بن قلاوون قطعة أرض كانت داخل هذا القصر من حقوق بيت المال، وهدم دارا كانت بقرب القصر، وهدم أحد عشر مسجدا وأربعة معابد كانت من آثار الحكام الفاطميين يسكنها جماعة من الفقراء، وأدخل ذلك كله في البناء إلا مسجدا منها فإنه عمَّره، ويعرف بمسجد النجل، فجاء هذا القصر من أعظم مباني القاهرة، في ارتفاعه وجماله ، والماء يجري بأعلاه، وله شبابيك من حديد تشرف على شارع القاهرة، وينظر من أعلاه الى عامة القاهرة والقلعة والنيل والبساتين، وهو مشرق جليل مع حسن بنائه وتأنق زخرفته والمبالغة في تزويقه وترخيمه[٥٣].

وأنشأ أيضا في أسفله حوانيت[٥٤] كان يباع فيها الحلوى وغيرها، وتم إكمال بناء هذا القصر والحوانيت التي في أسفله والخان المجاور له في سنة ٧٣٨هـ/١٣٣٧م، ومن العجيب أن النصوص قد نقلت أمراً غاية في الغرابة فبالرغم من هذه الفخامة التي وصف بها القصر، فلم يبارك له فيه ولا تمتع به، وكان إذا نزل إليه ينقبض صدره ولا تنبسط نفسه ما دام فيه حتى يخرج منه، فترك المجيء إليه فصار يتعاهده أحيانا، فكرهه وباعه لزوجة بكتمر الساقي[٥٥]، وبعد ذلك تداوله ورثتها إلى أن أخذه السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاوون.

---

(٥٣) المقريزي: الخطط المقريزية، ج٢، ص٤٣٩؛ علي مبارك: الخطط التوفيقية، ج٢، ص١٠٢ - ١٠٤.

(٥٤) الحوانيت: توجد الحوانيت غالباً أسفل المباني، وتستخدم لخزن وعرض وبيع السلع والبضائع، وكان لكل حانوت مسطبة يعرض عليها التاجر معروضاته. سعيد عاشور: المجتمع المصري، ص٩٧، ٩٨؛ عاصم رزق: معجم مصطلحات العمارة، ص٧١، ٧٢؛ عبد الرحيم غالب: موسوعة العمارة الإسلامية، ص١٢٥.

(٥٥) المقريزي: الخطط المقريزية، ج٢، ص٤٣٩.

٢- قصر الحجازية:

يعد قصر الحجازية من أفخم قصور القاهرة في تلك المدة، وهو بخط رحبة باب العيد[٥٦] ببولاق على شاطىء النهر[٥٧]، عُرف أولاً بقصر الزمرد في عهد الحكام الفاطميين، نسبة إلى باب القصر الذي عُرف بباب الزمرد، ثم أخذه الأيوبيون بعد زوال الدولة الفاطمية، ثم اشتراه الأمير بدر الدين مسعود بن خطير الحاجب([٥٨])، وبعد سفره إلى غزة، أخذه الأمير قوصون الساقي وأخذ في إنشاء سبع قاعات في كل قاعة إسطبل، وأطلق عليه قصر قوصون، ثم قتل قبل أن يتم البناء، فاشترته "خوند تتر الحجازية" ابنة الناصر محمد بن قلاوون، وزوجة الأمير ملكتمر الحجازي[٥٩]، وعمرته عمارة غاية في الأبهة والفخامة، وأجرت الماء أعلاه، وعمرت تحت القصر إصطبلاً كبيراً لخيول خدمها ومساحة كبيرة يشرف عليها القصر من شبابيك حديد، فكان من أحسن

([٥٦]) خط رحبة باب العيد: في زمن الدولة المملوكية كان أولها من باب الريح أحد أبواب القصر الذي هدمه الأمير جمال الدين الأستدار سنة ٨١١هـ/ ١٤٠٨م وإلى خزانة البنود، وكانت رحبة عظيمة ومتسعة، يقف فيها العساكر في أيام المواكب ينتظرون ركوب الخليفة من باب العيد، ويذهبون في خدمته لصلاة العيد بالمصلى خارج باب النصر ثم يعودون إلى أن يدخل من الباب المذكور إلى القصر، ثم عُمرت هذه الرحبة، واختط بها الناس الكثير من الدور والمساجد وغيرها. المقريزي: الخطط المقريزية، ج٢، ص٤٦٨.

([٥٧]) خليل بن شاهين: زبدة كشف الممالك، ص٢٨؛ ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، ص٣٧١.

([٥٨]) هُوَ الْأَمِير بدر الدّين مَسْعُود بن خطير أحد أُمَرَاء دمشق الْكِبَار الأخيار توفّي فِي سَابِع شَوَّال سنة أَربع وَخمسين وَسبع مئة.الدمشقي : توضيح المشتبه ج٣ ص ٢٧٩ .

([٥٩]) الأمير ملكتمر الحجازي: أصله حر من بغداد، سمع الناصر محمد بن قلاوون عنه بأنه مفرط في الجمال فبذل فيه أكثر من خمسين ألف لشرائه، فحضر إلى الناصر وعلى رأسه فوطة زهرية وعليه قباء تتري فلُقب بالحجازي، وكان معظماً عند الناصر، تولى عدة مناصب، وأعطاه الكثير من الإقطاعات، وظل على ذلك حتى عام (٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، فكان آخر العهد به. الصفدي: أعيان العصر، ج٥، ص٤٤٤، ٤٤٥؛ ابن حبيب: تذكرة النبيه، ج٣، ص٩٨، ٩٩؛ ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ج٤، ص٣٥٨، ٣٥٩؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج١١، ص٢٦٩ - ٢٧١.

العمارات التي أنشئت في العصر المملوكي[٦٠]، ولما توفيت خوند تتر المذكورة سكنه الأمراء مقابل أجر معلوم، ثم تحول هذا القصر إلى سجن في عهد السلطان الناصر فرج، فكان في أول الأمر مخصصًا للأمراء والأعيان حتى سنة ٨٢٠هـ/١٤١٧م ثم أصبح سجنًا لأرباب الجرائم[٦١].

٣- قاعة قوصون:

لم يكن الأمير قوصون الساقي بأقل نصيباً في حركة البناء والتعمير؛ ففي سنة ٧٤٢هـ/١٣٤١م أنشأ قاعة للجلوس مع الأمراء من داخل باب القلعة وفتح شباكًا يطل على الدركاة[٦٢] وجلس فيها مع أكابر الأمراء ومد السماط[٦٣] بها وصار يدخل إليه الأمراء والمقدمون والأجناد، وزاد الأمير قوصون الساقي في مكونات سماطه كثيرا من الحلوى والدجاج، وأكثر من الخلع والإنعامات إلى الغاية بحيث لم يمنع أحدا من خير يصل إليه

---

(٦٠) المقريزي: الخطط المقريزية، ج٢، ص٥١٨.

(٦١)المقريزي: الخطط المقريزية، ج٢، ص٥١٨، ٥١٩؛ السلوك، ج٤، ص٤٢٦؛ ابن شاهين الحنفي: نيل الأمل، ج١، ص٣٣١؛ البيومي إسماعيل: مصادرة الأملاك، ج١، ص٢١١.

(٦٢) دركاة: كلمة فارسية مكونة من لفظين: (در) بمعنى الجزء المنخفض الذي يلي الباب، و(ركاة) بمعنى محلي، واللفظ بأكلمه يعني أيضًا: العتبة أو الساحة الصغيرة المربعة أو المستطيلة التي تلي الباب مباشرة وتؤدي إلى داخل بناء كبير، وعلى ذلك فالدركاة هي المنطقة الوسطي التي تلي باب الدخول، وتتقدم التكوين الرئيسي للمبنى. سعاد ماهر: مساجد مصر، ج٤، ص٥٢٤؛ عبد الرحيم غالب: موسوعة العمارة الإسلامية، ص١٨٧؛ محمد أمين، ليلى إبراهيم: المصطلحات المعمارية، ص٤٧.

(٦٣) سماط: ما يُبسط على الأرض لوضع الأطعمة وجلوس الآكلين، ويُطلق أحياناً على المائدة السلطانية. وكانت تمد طرفي النهار من كل يوم أسمطة جليلة، ومنها ثلاثة، واحد يلو الآخر الأول لا يأكل منه السلطان والثاني بعده يسمى الخاص، وقد يأكل منه السلطان وقد لا يأكل ثم الثالث بعده ويسمى الطارىء، ومنه يأكل السلطان. أما مساءً فسماطان: الأول ثم الثاني، ويسمى الخاص. ويأكل من جميع هذه الأسمطة، ويُوزع الباقي. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٥٦؛ محمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص٩٢، ٩٣.

منه، وكان الأمير قوصون الساقي قبل ذلك يجلس بباب القلة[٦٤] من القلعة موضع النيابة في موضع صنعه، وأدار عليه درابزين يحجبه عن الزحمة من كثرة الناس[٦٥].

٤- إصطبل قوصون:

ذلك الإصطبل كان بجوار مدرسة السلطان حسن، وكان له بابان، باب من الشارع بجوار حدرة البقر، وبابه الآخر تجاه باب السلسلة الذي يتوصل منه إلى الإصطبل السلطاني وقلعة الجبل، أنشأه الأمير علم الدين سنجر الجمقدار، فأخذه منه الأمير قوصون الساقي وصرف له ثمنه من بيت المال، فزاد فيه الأمير قوصون الساقي إصطبل الأمير سنقر الطويل، وأمره السلطان الناصر محمد بن قلاوون بعمارة هذا الإصطبل، وقد اتسعت حركة العمران والإنشاء فيه فبنى فيه كثيرا وأدخل فيه عدة عمائر، ما بين دور وإصطبلات، فوصفته النصوص أنه كان قصراً عظيماً للغاية، وسكنه الأمير قوصون الساقي مدة حياة السلطان الناصر محمد بن قلاوون، فلما مات السلطان وقام من بعده ابنه السلطان المنصور أبو بكر، قام الأمير قوصون الساقي بخلعه وأقام بعده السلطان الأشرف كجك بن الناصر محمد بن قلاوون ، ومن الجدير بالذكر أن هذا الإصطبل كان حاضراً بوضوح في الصراعات السياسية، فنجد أنه في سنة ٧٤٢هـ/١٣٤١م حدث فتنة بين الأمير قوصون الساقي وبين الأمراء، وكبيرهم أيدغمش أمير آخور، فنادى أيدغمش في العامة (عليكم

(٦٤) باب القلة: عرف بذلك لأنه كان هناك قلة بناها السلطان الظاهر بيبرس، وهدمها السلطان الناصر محمد بن قلاوون (سنة ٧٨٠هـ/ ١٣٠٩م)، وبنى مكانها قبة ثم هدمها بعد انتهاء عمارتها، وجدد باب القلة وعمل له بابًا ثانيًا. المقريزي: الخطط المقريزية، ج٣، ص٦٣؛ عبد الرحمن زكي: موسوعة مدينة القاهرة في ألف عام، ص٢٤؛ ماجدة الغمري: قلعة الجبل، ص١٧، هامش ٨.

(٦٥) المقريزي: السلوك، ج٢، ق٣، ص٥٨٠.

بإصطبل قوصون انهبوه) هذا والأمير قوصون الساقي محصور بقلعة الجبل، فأقبلت العامة وأتت النهابة على جميع ما في إصطبل قوصون من الخيل والسروج وحواصل المال التي كانت بالقصر، وكانت تشتمل على أنواع من المال والقماش وأواني الذهب والفضة ما لا يحد ولا يعد كثرة، وعندما خرجت العامة بما نهبته، وجدت مماليك الأمراء والأجناد قد وقفوا على باب الإصطبل في الرميلة لانتظار من يخرج، وكان إذا خرج أحد بشيء من النهب أخذ منه بالقوة ، فإن امتنع عن إعطائه قتل، واحتمل النهابة أكياس الذهب ونثروها في الدهاليز[٦٦] والطرق، وظفروا بجواهر نفيسة وذخائر ملوكية وأمتعة جليلة القدر وأسلحة عظيمة وأقمشة مثمنة، وجروا البسط الرومية وتقاتلوا عليها وقطعوها قطعا بالسكاكين وتقاسموها، وكسروا أواني البلور ، وقطعوا سلاسل الخيل، وسروج الذهب والفضة، وفكوا اللجم وقطعوا الخيم ، أما الذهب المكيس والفضة فكان ينيف على أربعمائة ألف دينار، وأما أطباق الفضة والذهب، فإنه فوق المائة ألف دينار، وحلي النساء فإنه لا يحصر، وكان هناك ثلاثة أكياس من الجواهر ماقدر ثمنه بنحو المائة ألف دينار،وجميع ذلك نهب وكسر وقطع وانحط سعر الذهب بديار مصر بعد هذه السرقات من دار الأمير قوصون الساقي ، حتى بيع المثقال بأحد عشر درهما لكثرته في أيدي الناس، بعد ما كان سعر المثقال عشرين درهما ومن حينها تلاشى أمر هذا القصر لزوال رخامه واثاثه من السرقات [٦٧].

([٦٦]) دهاليز: مفردها دهليز، وهو لفظ فارسي معرب، ويُقصد به ما بين الباب والدار، وفي العمارة المملوكية ممر داخلي، أو مدخل يؤدي إلى قاعة أو وحدة سكنية، وله استخدامات وأشكال عديدة. عاصم رزق: معجم مصطلحات العمارة، ص١١٠؛ محمد أمين، ليلى إبراهيم: المصطلحات المعمارية، ص٤٩؛ محمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص٧٧.

([٦٧]) المقريزي: الخطط المقريزية، ج٢، ص٥٢٢، ٥٢٣.

ومن العجيب أنه قد اشتهر أنه من الدور المشؤومة، ويشير المقريزي إلى أنه لم يسكنه غير واحد من الأمراء وآل أمره إلى ما لا خير فيه، فأصبح القصر أعواماً خرابا لا يسكنه أحد، ثم أصلح بعد ذلك [٦٨].

٥- الوكالات:

الوكالات هي المكان الذي كانت ترد إليه البضائع المستوردة من خارج البلاد والتي يجلبها الوكلاء بناء على توكيلات منها توزع على باقي الأسواق [٦٩]، هذا بالإضافة إلى أن الوكالات كانت مكاناً لعقد الصفقات التجارية، أو في هيئة مؤسسات تجارية كبيرة خاصة للسلع التجارية [٧٠]، أو مودعاً لحفظ الأموال [٧١]، علاوة على اشتمالها على أمكنة أعدت لتكون سكناً للتجار الشرقين [٧٢]. ومن هنا ساهم بعض أوصياء العرش المملوكي في إنشائها مثل:

وكالة قوصون الساقي هذه الوكالة كانت مثل الفنادق ، ينزلها التجار ببضائع بلاد الشام من الزيت والصابون والدبس والفستق والجوز واللوز والخرنوب ونحو ذلك، وموضعها فيما

([٦٨]) الخطط المقريزية، ج٢، ص٥٢٣

([٦٩]) رفعت موسى: الوكالات والبيوتات الإسلامية، ص ٥٥؛ عاصم رزق: معجم مصطلحات العمارة، ص٣٢٤؛ عبد الرحيم غالب: موسوعة العمارة الإسلامية، ص٤٤٢؛ محمد أمين، ليلى إبراهيم: المصطلحات المعمارية، ص١٢١؛ *Dozy: Supplement Aux Dictionnaires Arabes، Tome Second، p.838.*

([٧٠]) ثروت عكاشة: القيم الجمالية، ص٧٠؛ رفعت موسى: الوكالات والبيوتات الإسلامية، ص ٥٣؛ *Dozy: Supplement Aux Dictionnaires Arabes، Tome Second، p.838.*

([٧١]) الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان، ج١، ص٢٧١؛ رفعت موسى: الوكالات والبيوتات الإسلامية، ص ٥٣

([٧٢]) ثروت عكاشة: القيم الجمالية، ص٧٠؛ رفعت موسى: الوكالات والبيوتات الإسلامية، ص ٥٣؛ عاصم رزق: معجم مصطلحات العمارة، ص٣٢٤؛ آمال العماري: أضواء على المنشآت التجارية، ص ٦٩.

بين الجامع ودار سعيد السعداء، وجعلها فندقا كبيرا وكان بها عدة مخازن، واشترط أن لا يؤجر كل مخزن إلا بخمسة دراهم من غير زيادة على ذلك، ولا يُخرج أحد من مخزنه، فصارت هذه المخازن تتوارث لقلة أجرتها وكثرة فوائدها، ومن الواضح أنها كانت نشطة بشكل كبير تجارياً وكانت من داخلها وخارجها لافتة للانظار لكثرة ما هنالك من أصناف البضائع وازدحام الناس وشدة أصوات الحمالين عند حمل البضائع ونقلها لمن يبتاعها، ثم تلاشى أمرها منذ خربت الشام على يد تيمورلنك[٧٣]

ويعلو وكالة قوصون طابق يشتمل على ثلاثمائة وستين مسكناً، وكانت تحتوي على نحو أربعة آلاف نفس ما بين رجل وامرأة وصغير وكبير، وخرب كثير من هذه البيوت سنة ٨٠٦هـ/١٤٠٣م[٧٤].

([٧٣])تيمور لنك: اسمه تمر أو تيمور لنك كوركان بن أيتميش قنلغ بن زنكي بن سينا بن طارم طر بن طغريل بن قليج بن سنفوز بن كنجك بن طغر سبوقا بن التاخان، وُلد سنة ٧٢٨هـ / ١٣٢٧م بقرية خواجا أبغار من عمل كش أحد مدن ما وراء النهر، قيل: إن أبيه كان أميراً عند السلطان حسين صاحب مدينة بلخ وأمه من ذرية جنكيز خان، وقيل: إن تيمور لنك هذا كان وزيرا عند السلطان حسين الذي خشي قوته، فعزم على قتاله فانتصر تيمور لنك، وكثر ماله، واستولى على ممالك ما وراء النهر وتركستان وغيرها، توفي سنة ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤م، وكان سفاكاً للدماء، أميًّا ولا يعرف من اللغة العربية شيئاً، ومغرماً بسماع التاريخ وقصص الأنبياء عليهم السلام. ابن حجر العسقلاني: إنباء الغمر، ج٢، ص٣٠١ -٣٠٤؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٤، ص١٠٣ -١٣٨؛ النجوم الزاهرة، ج١٢، ص٢٥٤ -٢٧٠؛ السخاوي: الضوء اللامع، ج٣، ص٤٦-٥٠.

([٧٤]) المقريزي: الخطط المقريزية، ج٢، ص٥٧٦.

٦- القياسر:

القياسر كانت واحدة من أبرز المؤسسات التجارية التي كان يشيدها أو كان يشتريها الأثرياء للإفادة من دخلها، وهي تعتبر نوعاً من الأسواق، لكنها أصغر حجماً إذ إنها كانت تضم عدداً من الحوانيت [٧٥] للتجارة، كما أنها كانت تختص بنوع من البضائع يباع فيها، وكان يبنى في الطابق العلوي لها مساكن مخصصة ليسكن بها الأهالي أو التجار [٧٦]

٧- الرحاب:

الرحاب، ومفردها رحبة بإسكان الحاء وفتحها، وهي المكان الواسع [٧٧]، وهو مكان يجتمع فيه الناس للبيع أو الشراء أو للهو وتمضية الوقت [٧٨]، وينسب إلى بعض أوصياء العرش بعض الرحب، كرحبة قصر بشتاك الناصري تلك الرحبة كانت تجاه قصر بشتاك الناصري، وهي من جملة الفضاء الذي بين القصرين، وكذلك رحبة دار الأمير سلار التتري نائب السلطنة، هي أيضا من جملة الفضاء الذي كان بين القصرين [٧٩].

([٧٥])الحوانيت: توجد الحوانيت غالباً أسفل المباني، وتستخدم لخزن وعرض وبيع السلع والبضائع، وكان لكل حانوت مسطبة يعرض عليها التاجر معروضاته. سعيد عاشور: المجتمع المصري، ص٩٧، ٩٨؛ عاصم رزق: معجم مصطلحات العمارة، ص٧١، ٧٢.

([٧٦])رفعت موسى محمد: الوكالات والبيوتات الإسلامية، ص ٣٩ - ٤١؛ عاصم رزق: معجم مصطلحات العمارة، ص٣٤٦؛ ليلى عبدالجواد: بولاق في عصر دولة المماليك الجراكسة، ص ٩٤؛ محمد أمين، ليلى إبراهيم: المصطلحات المعمارية، ص٩٢.

Dozy: Supplement Aux Dictionnaires Arabes، Tome Second، p. 432.

([٧٧]) المقريزي: الخطط المقريزية، ج٢، ص٤٦٨.

([٧٨]) عبد الرحيم غالب: موسوعة العمارة الإسلامية، ص١٩٨.

([٧٩]) المقريزي: الخطط المقريزية، ج٢، ص٤٧١.

٨- الأحكار:

الأحكار هي الأرض الممنوعة من البناء لصالح أشخاص بعينها[٨٠]، كحكر الأمير قوصون الساقي، وذلك الحكر كان مجاوراً لقناطر السباع وبه بساتين أحدهما يعرف بالمخاريق الكبرى، والآخر يعرف بالمخاريق الصغرى، وكان لذلك البستان أربعة حدود القبلي ينتهي إلى الخليج الفاصل بينه وبين المواضع المعروفة بجماميز السعدية والسبع سقايات، والحد الشرقي ينتهي إلى البستان المعروف بالمخاريق الصغرى المقابل للمجنونة، والبحري ينتهي إلى البستان المعروف قديما بابن أبي أسامة، الفاصل بينه وبين بستان أبي اليمن المجاور للزهري، والحد الغربي ينتهي إلى الطريق، ومن الأمور التنظيمية الهامة أن اشترط أن الناظر[٨١] كان يشتري في كل فصل من فصول الشتاء ما يراه من قماش الكتان الخام أو القطن، ويصنع ذلك جببا وبغالطيق[٨٢] محشوة قطنا، ويفرقها على الأيتام الذكور والإناث

---

(٨٠)المقريزي: الخطط المقريزية، ج٣، ص٦٢٧، ٦٢٨؛ زبيدة عطا: اليهود وتجارتهم في مصر الإسلامية، ص١٠٩.

(٨١)لأهمية الوقف وليؤدي فوائده المرجوه، عُين له موظف سمي: "ناظر الوقف أو متولي الوقف" الذي يقوم بتدبير أموره وتنفيذ شروطه وحججه ويقوم بمصالحه حسب شروط الواقف، وحفظ أصول الحجج، ويراقب موظفيه ويحصل ايراده، هو المسؤول عن توظيف مباشرة الوقف بحسب الجهة المخصص لها من رباع ومبانٍ ومساكن وأسبلة ومدارس ومساجد وغيره، وعليه اتباع شروط الواقفين ولا يعدل عنها، ويندرج في هذه الأوقاف ما على المساجد ومواطن الذكر، فليقم شعائرها، وليحفظ آثارها. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٥، ص٤٦٥، ج١١، ص٢٥٣ – ٢٥٥.

(٨٢) البغالطيق: مفردها بغلوطاق، وهي كلمة فارسية معربة مركبة من بغل بمعنى: إبط أو صدر، وطاق بمعنى: ثياب، والمعنى الكلي ثياب بأكمام قصيرة أو بدون أكمام يغطي الصدر فقط، حيث يلبس تحت الفرجية حيث يُصنع من القطن البعلبكي أو من السنجاب. رجب عبد الجواد: المعجم العربي لأسماء الملابس، ص٧٢؛ سعيد عاشور: العصر المماليكي، ص٤١٩؛ محمد دهمان: معجم المصطلحات التاريخية، ص٣٦؛*Dozy: Supplement Aux Dictionnaires Arabes*، *Tome Premier*.، *P.101*.

الفقراء غير البالغين بالشارع الكبير، خارج باب زويلة[٨٣]، لكل واحد جبة، فإن تعذر ذلك كان على الأيتام المتصفين بالصفة المذكورة بالقاهرة ومصر ، فإن تعذر ذلك كان للفقراء والمساكين أينما وجدوا، وأما المخاريق الصغرى فقد عرف أخيرا ببستان بهادر رأس نوبة، وكانت مساحته خمسة عشر فدانا، فاشتراه الأمير قوصون وقلع غروسه، وأذن للناس في البناء عليه، فحكروه وبنوا فيه الآدر وغيرها، وعرف بحكر قوصون[٨٤].

٩- الخوانق:

لفظة فارسية تعنى دار الصوفية التي ينقطعون فيها للعبادة والتزهد، ويَتَلَقَّون فيها علومًا أغلبها دينية وهي من الخنق لتضييقهم على أنفسهم، وقد كَوَّنت كل خانقاه وحدة قائمة بذاتها بداخلها عدد معين من الخلوات كل منها لأحد من الصوفية[٨٥]، وكان من بين أهدافها التعليم بجانب التفرغ للعبادة فتترتب فيها دروس للفقه على المذاهب الأربعة والحديث وقراءة

([٨٣]) خارج باب زويلة: هو اتجاه من خرج من باب زويلة، ويمتد فيما بين الطريق السالك ذات اليمين إلى الخليج، وبين الطريق المسلوك فيه ذات اليسار إلى قلعة الجبل، وأول أمره أن الخليفة الحاكم بأمر الله أنشأ الباب الجديد على يسار الخارج من باب زويلة، واتصلت العمائر من الباب الجديد خارج المشهد النفيسي، وكثرت العمائر خارج باب زويلة في أيام الناصر محمد بن قلاوون. وخارج باب زويلة له جهتان: جهة تلي الخليج، وجهة تلي الجبل، فأما جهة تلي الخليج فقد كانت عند وضع القاهرة بساتين كلها فيما بين القاهرة ومصر، وسماها أهل مصر أبليزا، وفي هذه الجهة التي تلي الخليج حارات متعددة. المقريزي: الخطط المقريزية، ج٢، ص٥٩٤، ٥٩٥، ٦٧٦؛ محمود أحمد: دليل موجز لأشهر الآثار العربية بالقاهرة، المطبعة الأميرية ببولاق، القاهرة، ١٩٣٨م، ص٦٨.

([٨٤]) المقريزي: الخطط المقريزية، ج٢، ص٦٣١؛ آندريه ريمون: القاهرة تاريخ وحضارة، ص١١٥.

([٨٥]) المقريزي: الخطط المقريزية، ج٣، ص٥٦٧؛ إبراهيم طرخان: النظم الإقطاعية، ص٤٨١؛ أيمن فؤاد سيد: التطور العمرانى لمدينة القاهرة منذ نشأتها وحتى الآن، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٧م، ص٥٢؛ سعاد ماهر: مساجد مصر، ج٣، ص٩؛ سعيد عاشور: المجتمع المصري، ص١٨٦، ١٩٠؛ العصر المماليكي، ص٣٥٣؛ عاصم رزق: معجم مصطلحات العمارة، ص٩٣.

القرآن الكريم، إذ كان بالخانقاه نشاط ديني ملموس، فأضيفت إليها وظيفة التدريس بجانب وظيفتها الأصلية، فلكل خانقاه شيخ[٨٦] أو أكثر، وعدد من الصوفية اشترط فيه الورع والزهد والتنسك وتربية المريدين والوقوف على طريق الحق والسلف الصالح[٨٧]، وكان لبعض أوصياء العرش المملوكي بعض الخوانق مثل:

- **خانقاة الأمير سلار:**

كان هناك خانقاه للأمير سلار، على الرغم من الاختلاف حول صاحب هذه الخانقاه إذ يرجعها البعض إلى الأمير سلار، ومنهم من يرجعها إلى الأمير سنجر[٨٨]، ولكن أغلب الآراء اتجهت نحو الأمير سلار؛ نظراً لكثرة ماله وسخائه، وكانت تقع بين ميدان السيدة والقلعة، وكانت مبنية على صخرة مباشرة، ولها مدخل مرتفع، وللخانقاه واجهة فريدة تعلوها قبتان متجاورتان إلى جانب المئذنة، وأسفل المئذنة مدخل الخانقاه على شكل قوس مدبب مرتفع، وتتكون المئذنة من ثلاث طبقات، فالطبقة الأولى على شكل مربع، والوسطى على

---

(٨٦) مشيخة الخوانق من الوظائف المهمة، فكان يصدر بها قرار من ديوان الإنشاء السلطاني، وكل خانقاه يعامل شيخها في المكاتبة حسب أهمية الخانقاة التابع لها. القلقشندي: صبح الأعشى، ج١١، ص٣٧٠؛ إبراهيم طرخان: النظم الإقطاعية، ص٤٨١؛ سعيد عاشور: المجتمع المصري، ص١٨٨.

(٨٧) السحماوي: الثغر الباسم، ج٢، ص٦١٩؛ عبد الرحيم غالب: موسوعة العمارة الإسلامية، ص١٥٧.

(٨٨) هو سنجر بن عبدالله الجاولي علم الدين أبو سعيد الشافعي الملكي الناصري المنصوري، ولد في عام ٦٥٣هـ/١٢٥٥ م، ثم صار من مماليك الأمير جاولي أحد أمراء السلطان الظاهر بيبرس فعرف بالجاولي، خرج الجاولي في عهد السلطان الأشرف خليل بن قلاوون إلى الكرك، وكان من ضمن المماليك البحرية في عهد كتبغا، ثم أصبح أستادار العالية في سلطنة الناصر محمد الثانية، ثم ولاه نيابة غزة في ولاية الناصر الثالثة، وتوفي سنة ٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م. عبدالله كامل موسى عبده: منشآت أمراء المماليك في القرنين السابع والثامن للهجرة، الثالث عشر والرابع عشر الميلادي، منشآت الأمير الجاولي وسلار بمصر والشام، ص ٣٩٤، مجلة المؤرخ العربي، العدد الرابع، مجلد ١، مارس، ١٩٩٦م.

شكل مثمن، والطبقة الثالثة العلوية مستديرة بها فتحات، وتعلوها طاقية مضلعة[٨٩]، وكانت قد تم إنشاؤها في سنة ٧٠٣ هـ / ١٣٠٤م، وقيل إن الذي أنشأها هو الأمير سلار ثم جددها سنجر الجاولي[٩٠].

- **الخانقاه الركنية:**

عمر الأمير بيبرس الجاشنكير في سنة ٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م الخانقاه الركنية موضع دار الوزارة برحبة باب العيد من القاهرة، ووقف عليها أوقافا جليلة، فمات قبل افتتاحها، وأغلقها السلطان الناصر محمد بن قلاوون مدة ثم أمر بفتحها، ففتحت ورتب فيها عدداً من الصوفية، وقد بنى الأمير بيبرس الجاشنكير تربة بها[٩١].

- **خانقاه بشتاك:**

أنشأها الأمير الوصي بشتاك الناصري خارج القاهرة على جانب الخليج من البر الشرقي تجاه جامع بشتاك، وكان ذلك سنة ٧٣٦هـ/١٣٣٥م، واستقر في مشيختها شهاب الدين القدسي، وكان يجري لهم الخبز والطعام في كل يوم، فاستمر ذلك مدة ثم أوقف، وصار يصرف لأربابها عوضا عن ذلك في كل شهر مبلغ من المال، وقد نسب إليها جماعة منهم الشيخ الأديب البدر البشتكي[٩٢].

---

(٨٩) ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٣ ص.

(٩٠) أبو المجد محمود فرغلي: الدليل الموجز، ص ١٠١.

(٩١) المقريزي: السلوك، ج٢، ص٣٦.

(٩٢) المقريزي: الخطط المقريزية، ج٣، ص٥٧٩.

- **خانقاه قوصون:**

أنشأها الأمير الوصي قوصون الساقي شمالي القرافة مما يلي قلعة الجبل تجاه جامع قوصون، وكملت عمارتها سنة ٧٣٦هـ/١٣٣٥م، وقرر في مشيختها الشيخ شمس الدين محمود بن الأصفهاني، ورتب له راتباً محدداً من النقود وكذلك من الخبز واللحم والصابون والزيت وسائر ما يحتاج إليه المرء، واستقر ذلك في الوقف من بعده لكل من ولي المشيخة بها، وقرر بها جماعة كثيرة من الصوفية، ورتب لهم الطعام واللحم والخبز والحلوى في كل يوم، والنقود في الوقت المحدد من الشهر ، وما زالت على ذلك إلى سنة ٨٠٦هـ/١٤٠٣م، فبطل الطعام والخبز منها وصار يصرف لمستحقيها مال من نقد مصر، وتلاشى أمرها بعد ذلك [٩٣].

- **خانقاه شيخون:**

شرع الأمير شيخون الناصري سنة ٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م في هدم أملاك اشتراها بخط الصليبة [٩٤] فكانت مساحتها كبيرة، واختط موضعها خانقاه وحمامين وحوانيت يعلوها رباع، وجد في بنائها إذ أنه عمل فيها بنفسه ومماليكه حتى انتهت عمارتها، وأشهد عليه بوقفها [٩٥] .

([٩٣]) المقريزي: الخطط المقريزية، ج٣، ص٥٩٤.

([٩٤]) الصليبة: يبدأ من جهة المنشية، وينتهي من أول شارع حدرة الحناء أمام حارة بئر الوطاويط، وبه من جهة اليسار عطف وحارات ودروب منها، حارة درب البوص ودرب المراحلية وعطفة حوش الحدادين. علي مبارك: الخطط التوفيقية، ج٢، ص ٣١٣.

([٩٥]) المقريزي: السلوك، ج٣، ق١، ص ١٧.

وقيل إنها كانت مساكن للناس، فاشتراها الأمير شيخون الناصري من أربابها وهدمها، وبنى فيها الخانقاه وحمامين وعدة حوانيت، ورتب بها دروسًا عدة منها أربعة دروس لطوائف الفقهاء الأربعة هي: الشافعية، والحنفية، والمالكية، والحنابلة، ودرسًا للحديث النبوي، ودرسًا لتعليم القرآن [٩٦]، وكانت الخانقاه تتألف من مدخل رئيس يؤدي إلى دركات مستطيلة الشكل، تؤدي إلى الدهليز الذي كان يؤدي إلى الصحن، وكان الصحن مستطيل الشكل يحيط به أربعة إيوانات، وكان بإيوان القبلة المحراب والمنبر[٩٧]، وكانت الخانقاه تحتوي على لوحة تأسيسية كانت في أعلى المدخل الرئيس مباشرة[٩٨].

وقد قرر الامير شيخون الناصري تدريس المذهب الشافعي [٩٩]، والمذهب المالكي [١٠٠] بالخانقة، فكان الطلاب يجلسون في حلقات حول شيوخهم فيما بين الظهر إلى

(٩٦) المقريزي: الخطط، ج٣، ص ٥٨٥.

(٩٧) سعاد ماهر: مساجد مصر، ج٣، ص ٢٦١.

(٩٨) عادل علام: النصوص، ص ١٦٨.

(٩٩) المذهب الشافعي: ينسب هذا المذهب إلى الإمام الشافعي، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وهو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن الشافع، وكان مذهبه يجمع بين فقه أهل الرأي، وفقه أهل الحديث بمقادير متعادلة، وهو الفقيه الذي ضبط الرأي ووضع موازين القياس، وأول من حاول ضبط السنة، ووضع موازين لها ومقاييس، ووضع الطرق لفهم الكتاب والسنة، وبيان الناسخ والمنسوخ، وبهذه المحاولات وسائر ما وضعه من أصول الفقه قد وضع المبادئ الثابتة لصناعة الاستنباط، وأصول التخريج، فالدارس له، ولطريقة استنباطه، يدرس الفقه الإسلامي، وقد تكامل نموه، ووضحت معالمه، واستقامت مناهجه. للمزيد من التفاصيل انظر. البيهقي: مناقب الشافعي، تحقيق السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة، ١٩٧٠م، مج ١، ص٧١، ٧٣، ٧٦، ٢٣٧؛ ابن سالم العمراني: البيان في مذهب الإمام الشافعي، تحقيق قاسم محمد النوري، دار المنهاج للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٠م، مج ١، ص٤، ٥؛ الذهبي: تذكرة الحفاظ، تحقيق عبدالرحمن بن يحيى المعلمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٧٤هـ، جـ١، ص٣٦١ – ٣٦٣؛ ابن كثير: طبقات الشافعية، ص ١٧ – ٧٢.

(١٠٠) المذهب المالكي: ينسب هذا المذهب إلى مالك بن أنس بن مالك أبي عامر الأصبحي، ولد بالمدينة، وقد اختلف العلماء في السنة االتي ولد فيها مالك، ولكن على الأرجح أن ولادته كانت (سنة ٩٣هـ/ ٧١١م)، وتعلم في المدينة وصرف نفسه إلى طلب العلم، ولازم

العصر، ولم يسخر في بنائها أحد من المقيدين الذين بالسجون إذ كانت تلك هي عادة أمراء الدولة في بناء قصورهم، ولا سخر من الناس أحد بغير أجرة في شيء من أعمال تلك الخانقاه، بل كانت توفى للعمال أجرهم [١٠١].

كذلك أوقف الامير شيخون الناصري عليها أيضاً حمامين وربوعاً وحوانيت بالإضافة إلى عدة ضياع بالشرقية والغربية، وجعل الأشراف على الأوقاف مسؤولية رأس نوبة النواب، ويشاركه أكبر علماء الحنفيين وشيخ الخانقه [١٠٢].

١٠- الجوامع والمدارس:

شارك بعض الأوصياء للدولة المملوكية في بناء المساجد والمدارس او تجديدها إذ مثَّلت المدارس المكان التعليمي الأول ثم المساجد المكان التعليمي الثاني إذ إن المساجد لم تقتصر على الغرض الأساسي الذي شيدت من أجله، وهو العبادة وأداء الشعائر الدينية فقط، بل استخدمت في أغراض أخرى كثيرة منها: التدريس، وكانت في مرتبة المدارس والجامعات في

مجالس العلماء، وتنقل بينهم وطلب الحديث وفتاوى الصحابة والتابعين أولاً، لكنه لم يكتفِ بذلك، بل اتجه إلى كل ما يتصل بعلم الإسلام مع علم الآثار والرواية، وكان لذلك أثره فى فكره وفقهه وحياته، اتخذ مجلسًا في المسجد النبوي للدرس والإفتاء، وحرص أن يكون متبعًا لا مبتدعًا، فعمل أهل المدينة من أصول استنباطه، وكثر تلاميذه، وانتشر فقهه، واشتهر بأنه موطن فقه الرأي والأثر، وتحدث الناس بعلمه حتى وفاته (سنة ١٧٩هـ /٧٩٥م). للمزيد من التفاصيل انظر ترجمته. أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٩٦م، جـ٦، ص٣١٦ - ٣٥٥؛ الشيرازي: طبقات الفقهاء، تحقيق إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت ١٩٧٠م، ص٦٧، ١٣٥.

[١٠١] المقريزي: السلوك، ج٣، ص١٨.

[١٠٢] ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، ص ٥٥٨.

عصرنا الحاضر إلى جانب كونها مؤسسات اجتماعية لها الأثر الأكبر على أفراد المجتمع [١٠٣].

- **الأمير سلار التتري وصيانة المساجد في مصر:**

قام الأمير سلار التتري بتجديد مسجد عمرو بن العاص؛ وكان قد حدث له بعض الدمار [١٠٤]، وبعد الانتهاء من تجديده قام بتخصيص بعض المال له، وجعل كاتبه القاضي بدر الدين بن الخطاب شادًّا على هذا المسجد، وقام ببناء السور البحري، كذلك قام بعمل بابين جديدين للزيادة الغربية، وأضاف عموداً لكل عمود بالصف الأخير المقابل للجدار الذي تهدم [١٠٥]، فضلاً عن قيامه بعمارة الجامع الأزهر واستكمال مرافقه وحاجته من الصهاريج والمياه وأماكن الوضوء [١٠٦].

- **مدرسة كتبغا:**

في فتره حكم الناصر محمد بن قلاوون ٦٩٣هـ/ ١٢٩٣م قام الأمير كتبغا بشراء دار الأمير سيف الدين بليان الرشيدي، وشرع في بنائها كمدرسة، ولكن لم يكتب لها أن تتم، إذ تم خلع الأمير كتبغا قبل أن يكملها، ثم قام السلطان الناصر محمد بن قلاوون بشرائها عام

---

[١٠٣] أحمد شلبي: التربية الإسلامية، ص١٠٢، ٣٨٠؛ سعيد عاشور: المجتمع المصري، ص١٧٧؛ صالح أحمد صالح الجبوري: دور الجوامع والمساجد في التعليم، ص٩.

[١٠٤] بيادرا جورج: الأزهر في مائة عام، ص ٦٨.

[١٠٥] عاصم رزق: الخانقاوات، ج١، ص ١٧٦.

[١٠٦] بيارد دودج: الأزهر في مائة عام، ص ١٦٨.

٧٠٣هـ/ ١٣٠٣م، وجعل عليها أربعة من المدرسين لتدريس المذاهب الأربعة، وكان في دهاليزها عدد من الطواشية [١٠٧].

- **جامع قوصون:**

أنشأ الامير قوصون الساقي هذا الجامع داخل باب القرافة تجاه خانقاه قوصون، وعمر بجانبه حمامات، فعمرت تلك الجهة من القرافة بجماعة الخانقاه والجامع [١٠٨].

- **جامع بشتاك:**

عمره الأمير بشتاك خارج القاهرة بخط قبو الكرماني على بركة الفيل [١٠٩]، فكمل سنة ٧٣٦هـ/١٣٣٥م، وخطب فيه تاج الدين عبد الرحيم بن القزويني، وعمر بشتاك مقابل جامعه خانقه على الخليج الكبير، ونصب بينهما جسراً يتوصل به من أحدهما إلى الآخر، وكان ذلك المكان يسكنه جماعة من الفرنج والأقباط، ويرتكبون من القبائح ما يليق بهم.

---

(١٠٧) عاصم محمود رزق: أطلس العمارة الإسلامية والقبطية بالقاهرة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٣م ص٢٥.

(١٠٨) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٢٤، ص٢٠٧ -٢٠٩؛ المقريزي: الخطط المقريزية، ج٣، ص٢٩٨؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٤٦ - ٤٨؛ محمود رزق: موسوعة عصر سلاطين المماليك، ج١، ص١٠٤ - ١٠٦؛ حياة ناصر الحجي: الأمير قوصون (صورة حية لنظام الحكم في سلطنة المماليك)، بحث في كتاب أنماط من الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في سلطنة المماليك في القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع عشر والخامس عشر الميلادين، الكويت، ١٩٩٥ م، ص٩، ١٣٤، ١٣٥.

(١٠٩) بركة الفيل: كانت فيما بين مصر والقاهرة، وهي كبيرة المساحة، وعمر حولها الناس الكثير من الأبنية وصارت مساكنها من أجل مساكن مصر، واعتاد السلاطين الركوب فيها بالليل فقيل فيها:

أنظر إلى بركة الفيل التي اكتفت بها المناظر كالأهداب للبصر

كأنما هي والأبصار ترمقها كواكب قد أداروها على القمر

المقريزي: الخطط المقريزية، ج٢، ص٧٤٧؛ أندريه ريمون: القاهرة تاريخ وحضارة، ص١٢٤.

فلما عمر هذا الجامع وأعلن فيه بالأذان وإقامة الصلوات، اشمأزت نفوس أولئك الجماعة فتحولوا من هذا المكان. وكان الجامع من أبهى الجوامع، وأحسنها رخاما [١١٠].

- **جامع شيخون:**

أنشأه الأمير شيخون الناصري في سنة ٧٥٦هـ/١٣٥٥م بسويقة منعم، فيما بين الصليبة والرميلة تحت قلعة الجبل، ورفق بالناس في العمل فيه، وأعطاهم أجورهم، وأمر بإقامه خطبة الجمعه به وتم تسكين عشرين صوفيا فيه، وأقام الشيخ أكمل الدين محمد بن محمود الرومي الحنفي شيخاً لهم، ثم لما أنشأ الخانقاه تجاه الجامع نقل الصوفية وشيخهم إليها، وزاد عدتهم، وهذا الجامع من أجل جوامع ديار مصر [١١١].

وجامعه هذا وخانقاته التي بخط الصليبة لم يعمر في ذلك العهد مثلهما، ولا كان في الدولة التركية مثل أوقافهما فضلاً عن حسن ترتيب المعالم بهما، وقد تم دفن الأمير شيخون الناصري بالخانقاه الشيخونية سنة ٧٥٨هـ/١٣٥٦م، وقبره بها يقرأ عنده القرآن دائما [١١٢].

([١١٠]) المقريزي: الخطط المقريزية، ج٣، ص٣٠٢.

([١١١]) المقريزي: الخطط المقريزية، ج٣، ص٣١٤.

([١١٢]) المقريزي: الخطط المقريزية، ج٣، ص٣١٥.

- **المدرسة الأيتمشية:**

أنشأها الأمير سيف الدين أيتميش البجاسي الوصي في سنة ٧٨٥هـ/١٣٨٣م خارج القاهرة داخل باب الوزير تحت قلعة الجبل بخط التبانة [١١٣]، وقرر بها درس فقه على المذهب الحنفي، وبنى بجانبها فندقا كبيرا، ومن ورائها خارج باب الوزير حوض ماء للسبيل [١١٤].

١١- الترع والجسور:

ساهم بعض الأوصياء في حركة العمران المدني ذات المنفعة العامة، ففي السياق نفسه كان اهتمام الناصر محمد بن قلاوون بإقليم الجيزة إذ أقام على كل بلد بها جسراً أو قنطرة. وكانت أكثر الجهات المصرية تتعرض للجفاف لعدم وصول الماء إليها، فقام بإنشاء (جسر أم دينار) الذي استمر البناء فيه عدة شهور مما أدى إلى ارتفاع منسوب ماء النيل لكي يتم ريّ تلك الأراضي كلها وعم النفع، فاستغل الأميران بيبرس الجاشنكير وسلار الفرصة، وقاما بأخذ مساحة شاسعة من الأراضي، وقاما بتعميرها، وتم استصلاح أراضٍ جديدة في الشرقية ونحوها [١١٥].

([١١٣]) خط التبانة: كان يشتمل قديماً على المنطقة التي تمتد من باب الوزير إلى الدرب الأحمر، وهذه المنطقة يتوسطها شارع باب الوزير وشارع التبانة والدرب الأحمر، وعُرف بالتبانة؛ لأنه كان به السوق الذي يباع فيه التبن في الزمن الماضي، أما شارع التبانة فيطلق على الطريق الذي يمتد من شارع باب الوزير إلى شارع الدرب الأحمر. علي مبارك: الخطط التوفيقية، ج٢، ص٢٨٢.

([١١٤]) المقريزي: الخطط المقريزية، ج٣، ص٥٣١.

([١١٥]) المقريزي: السلوك، ج٢، ص ٥٤١.

كما نجد أن الوصي يلبغا العمري قام بالمساهمة في حركة العمران؛ فقد شرع في سنة ٧٦٥هـ/١٣٦٤م في حفر ترعة اخذها، من اهالي الجيزية، وانتفع بها الناس كثيرا [١١٦].

١٢-العمارة العسكرية (الحصون والقلاع):

اهتم بعض الأوصياء في الدوله المملوكيه بالعمارة العسكرية من قلاع وحصون وشواني [١١٧]؛ ففي سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م وخلال وصاية المعز عزالدين أيبك التركماني وقع الهدم في أسوار واحياء مدينة دمياط، فتوجه الحجارون والصناع والحمالون من القاهرة للصيانة وإعادة تعمير ما قد تهدم، وسكن طائفة من الناس على شاطئ النيل وسموها (المنشية) وهو موضع دمياط حاليا [١١٨].

ومدينة الإسكندرية تعرضت للهدم أيضا. فما كان من المعز عزالدين أيبك التركماني إلا أن عمل على إحياء هذه المدينة وإعادة بنائها وتشييدها [١١٩].

وفي عهد المعز أيبك التركماني أيضا خربت أجزاء من قلعة الروضة سنة ٦٤٩هـ/١٢٥١م، مما دفع المعز عزالدين أيبك إلى توجيه الأوامر للمماليك والحراس،

---

[١١٦] المقريزي: السلوك، ج٣، ص٩٣.

[١١٧] الشواني : وهي سفينه حربيه كبيره تمتاز بضخامة حجمها ، وتحمل على متنها خمس مائة مقاتل ، اضافه الى وجود مجذفين يبلغ عددهم ١٤٠ مجذفاً ، وكذلك مزوده بمخازن للطعام وصهاريج لحفظ الماء العذب ، وتقام على متنها الأبراج والقلاع للدفاع والهجوم ورمي الأعداء بالنفط المشتعل . عبد الفتاح عبادة : سفن الأسطول الإسلامي وأنواعها ومعداتها في الإسلام ، مطبعة الهلال، مصر 1913

[١١٨] المقريزي: السلوك، ج١، ص٣٧٢.

[١١٩] السلوك، ج١، ص٣٧٢.

وغيرهم من الأمراء بمغادرتها والتحول إلى قلعة القاهرة. وعندها أمر بإخلاء قلعة الروضة [١٢٠]، فتحول من كان فيها من المماليك [١٢١] .

وفي ذات السياق اهتم الأمير يلبغا الأتابك بعمل الشواني البحرية لغزو الفرنج، فجمع من الأخشاب والحديد والآلات ما يجل وصفه، وشرع النجارون في عملها بجزيرة أروى المعروفة بالجزيرة الوسطى [١٢٢]، وتولى عملها الوزير فخر الدين ماجد بن قزوينة، فقام في ذلك أتم قيام.

ونودي بالقاهرة ومصر بحضور البحارة والنفاطة ومن يريد الجهاد في سبيل الله إلى بيت الأمير يلبغا الأتابك للعرض، كما قرر النفقات على هذا الشأن، وكانت نفقات مهولة حسب إمكانيات ذلك العصر، وكتب إلى طرابلس ونحوها من بلاد الساحل بإنشاء مراكب حربية وجمع رجالها فكان عملا جليلا[١٢٣].

كما استكمل عمارة الشواني البحرية سنة ٧٦٨هـ/١٣٦٦م وبلغ عددها مائة قطعة، كما صدرت قرارات الأمير يلبغا بتعيين ما يكفيها من الرجال، وجمعهم ما بين مغاربة وأتراك وصعايدة، ورتب لهم رؤوساء ونقباء وأنفق فيهم نفقات ضخمة، كما شحن الشواني بالعدد

([١٢٠]) سبق ذكره ص٧

([١٢١]) المقريزي: السلوك، ج١، ص٣٨٠.

([١٢٢]) الجزيرة الوسطي: أو الوسطانية، سميت الوسطي لتوسطها بين الروضة وبولاق وبر الجيزة، وكان بها دور جليلة وأسواق وبساتين وآبار وجامع وأسواق، وصارت متنزهًا حسنًا، وربما يقال لها جزيرة أروى. ابن دقماق: الانتصار، ج٢، ص٤٥، ٤٦؛ المقريزي: الخطط المقريزية، ج٢، ص٨٠٧؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٩، ص١٢٦؛ السخاوي: البلدانيات، ص١٣٨.

([١٢٣]) المقريزي: السلوك، ج٣، ص١١٣؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٥، ٢٦.

الحربية وجميع آلات السلاح، وعندما تهيأت كلها فرقها الأمير يلبغا على الأمراء، فتسلم كل أمير ما خصه من الشواني، وزينها بأعلامه، وأقام فيها الطبول والأبواق، وأنزل بها عدداً من مماليكه، وقد ألبسهم آلة الحرب وأمرهم بالمسير فيها للغزو [١٢٤].

المبحث الثالث: أوقاف ألأوصياء في الدولة المملوكية:

يأتى المعنى الاصطلاحي للوقف بأنه حبس العين، وزوال ملك الواقف إلى الله تعالى، والتصدق بالمنفعة على الفقراء، أو على جهة من سبيل الخيرات[١٢٥]، وتزول ملكية الوقف من الواقف إلى الله تعالى بمجرد صدور القول (أوقفته) أو بصدور لفظ من ألفاظ الوقف الخاصة به، مع مراعاة كون الوقف صحيحًا شرعيًّا[١٢٦]، إن الوقف في الشريعة الإسلامية له أركان وشروط[١٢٧] ومسائل وتفريعات، وفي واقع الأمر فقد حرص بعض الأوصياء على

---

(١٢٤) المقريزي: السلوك، ج٣، ص١٢٩، ١٣٠؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٣٠-٣٢.

(١٢٥) الجوهري: الصحاح تاج اللغة، مج٤، ص١٤٤٠؛ ابن طلحة: العقد الفريد للملك السعيد، المكتبة الوهبية، القاهرة، ١٢٨٣هـ، ص١٧٩؛ ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ج٩، ص٣٥٩؛ الفيومي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تحقيق: خضر الجواد، مطبعة مكتبة لبنان، لبنان، ١٩٨٧م، ص٢٥٦؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج١١، ص٢٥٢، ٢٥٣؛ الزبيدي: تاج العروس، ج٢٤، ص٤٦٨، ٤٦٩؛ ابن عابدين: در المحتار على در المختار شرح تنوير الأبصار، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار عالم الكتب، الرياض،٢٠٠٣ م، ج٦، ص٥١٨، ٥١٩؛ عامر نجيب موسى ناصر: الحياة الاقتصادية في مصر في العصر المملوكي، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٣م، ص١٢٧؛ *Dozy: Supplement Aux Dictionnaires Arabes، Tome Second، p. 882.*

(١٢٦) النووي: المجموع شرح المهذب " للشيرازي"، مكتبة الإرشاد، جدة، (د.ت)، ج١٦، ص٢٧٣؛ ابن عابدين: در المحتار، ج٦، ص٥٢١؛ عامر نجيب: الحياة الاقتصادية في مصر، ص١٢٧؛ عبد اللطيف إبراهيم: التوثيقات الشرعية والإشهادات في ظهر وثيقة الغوري، بحث منشور بمجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، ١٩٥٧م، مج ١٩، جـ١، ص٣٢٤.

(١٢٧) شروط الوقف: وهي طائفة من الشروط الصحيحة للواقف أن يشترطها في وقفه، وقد اهتم بها أغلب الواقفين وحرصوا على النص عليها في أوقافهم، ومن هذه الشروط: كون الوقف من مالك جائز التصرف وهو المكلف الرشيد؛ فلا

المساهمة في حركة الوقف التي ازدهرت بشكل كبير في العصر المملوكي، فقد أوقف الوصي بيبرس الجاشنكير على خانقاته الأوقاف العديدة، وقام بتقرير نحو ٤٠٠ صوفي في تلك الخانقاه ونحو ١٠٠ جندي، وكذلك أبناء الناس وجعل بها مطبخاً، به جناح لإعداد الطعام للصوفية، وهناك وزان يقوم بوزن الطعام والخبز للصوفية ليحصل كل منهم على نصيبه حسب شروط الوقف، ولقد حدد بيبرس الجاشنكير الأوزان بثلاثة أرطال من الخبز، وثلاثة أرطال من اللحم الضأن. ولكن كان شيخ الخانقاه يتميز بعض الشيء، فكان يضاعف له الكمية. كذلك كان يصرف للمتصوف درهمان ونصف في الشهر برسم غسيل ثيابهم، وكذلك درهم برسم دخولهم الحمام في كل شهر [١٢٨]، ورتب لها من الحلويات واللحم والطعام وكذلك كان حال القراء الذين يقرؤون فيها، وقام بوقف عدة أوقاف عليها فكان منها عدة ضياع من أراضي مصر بالوجهين القبلي والبحري [١٢٩].

وفي ذات الإطار نجد أن الأمير قوصون الساقي كان قد خصص جزءًا من وقفه على حكر قوصون، وكان الغرض من ذلك الوقف أن يشتري الناظر في كل فصل من فصول الشتاء ما يراه من قماش الكتان الخام أو القطن ويصنع منه جبايا محشوة قطنا، ويفرقها

يصح من صغير أو سفيه أو مجنون وكون الموقوف عينا؛ فلا يصح وقف ما في الذمة وكون الوقف على بر وهو اسم جامع للخير. للمزيد انظر. الخصاف: أحكام الأوقاف، مطبعة ديوان عموم الأوقاف المصرية، القاهرة، ١٩٠٤م، ٢٢- ٢٤؛ ابن عابدين: در المحتار، ج٦، ص٥٨٣-٥٨٩.

(١٢٨) وثيقة بيبرس محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر ٦٤٨ – ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م، دراسة تاريخية، ص ٢٢٠، دار النهضة العربية، ط١، ١٩٨٠م.

(١٢٩) ابن تغري بردي: المنهل الصافي، ج٣، ص ٤٧١.

على الأيتام الإناث الفقراء غير البالغات بالشارع خارج باب زويلة لكل واحدة منهن جبة [١٣٠].

بالإضافة إلى ما سبق نجد أيضاً ما قام به الوصي الأمير شيخون من وقف على خانقاواته العديدة بمصر والشام، إذ رتب بها دروس الفقه للمذاهب الأربعة، وعين شيخا للصوفية، ومدرسا للحديث النبوي، وشيخا لإقراء القرآن الكريم بالقراءات السبع[١٣١]، وغيرهم من الفراشين والمباشرين، ومن المثير أنه اشترط على الفقهاء والصوفية أن لا يتزوج منهم إلا طائفة معينه حددهم من كل مذهب، وأن يقيم العزاب بالخانقاه ليلاً ونهاراً، ومن الجدير بالذكر أنه كان يحتفل بالعيد متوجهاً لهذه الخانقاة مما يبرز دورها الاجتماعي الكبير خلال ذلك العصر[١٣٢].

---

[١٣٠] المقريزي: الخطط المقريزية، ج٢، ص٦٣١.

[١٣١] علم القراءات: هو علم يتصل بقراءة القرآن الكريم حسب طرق القراءة المشهورة لدى القراء، ويبحث فى صور نظم كلام الله تعالى من حيث وجوه الاختلافات المتواترة، وهو يعتمد على العلوم العربية التي تعين على تحصيل هذه الملكة، وفائدة ذلك صون كلام الله تعالى من التغيير والتحريف، وقد يبحث أيضاً في الاختلافات غير المتواترة الواصلة إلى حد الشهرة مع ما فيه من فوائد كثيرة تبنى عليها الأحكام، ولم يزل العلماء يستنبطون من كل حرف يقرأ به قارئ معنى لا يوجد في قراءة الآخر، فالقراءات حجة الفقهاء في الاستنباط، وحجتهم في الاهتداء إلى سواء الصراط، مع ما في ذلك من التسهيل على الأمة، وإظهار شرفها، وإعظام أجرها، من حيث إنهم يفرغون جهدهم في تحقيق ذلك وضبطه، وكان عالم القراءات يضيف إلى ثقافته مواد أخرى كان أكثرها النحو والفقه، وقد تتسع ثقافة بعضهم فيضيف إليها التفسير والحديث، أو يدرس بإتقان اللغة والأدب، أو علم الكلام، أو علم الأصول، أو الكتابة، أو التاريخ، أو الفرائض أو غير ذلك من العلوم. الذهبي: طبقات القراء، تحقيق أحمد خان، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٩٩٧م، ج٣، ص١١٢٧ - ١١٢٩؛ معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق طيار قولاج، مركز البحوث الإسلامية، إستانبول، ١٩٩٥م، ج٣، ص١٢٩٥-١٢٩٧؛ ابن الجزرى: غاية النهاية، ج١، ص٣٤٨.

[١٣٢] المقريزي: السلوك، ج٣، ص ١٧.

وفي ذات المنحى نجد ان الأمير الوصي الظاهر برقوق، قد أثارت الأوقاف اهتمامه بشكل كبير؛ فعلى سبيل المثال في سنة ٧٨٠هـ/١٣٧٨م قام باستدعاء القضاة وشيوخ العلم للمناقشة معهم في قضايا الوقف، حيث تحدث معهم في الأوقاف على الجوامع والمساجد والمدارس والخوانق والزوايا، والربط وعلى أولاد الملوك والأمراء وغيرهم وعلى الرزق الأحباسية [١٣٣]، وتساءل عن كيف يجوز بيع أراضي مصر والشام الخراجية على بيت المال؟ وأحضرت الأوراق الخاصه بما كان قد تم وقفه من بلاد مصر والشام وبما تملك منها، ومبالغها السنوية. فكان رده (أن أوقاف الجوامع والمساجد والمدارس والخوانق التي هي على علماء الشريعة وفقهاء الإسلام وعلى المؤذنين وأئمة الصلوات ونحو ذلك لا يحل لأحد أن يتعرض بحلها بوجه من الوجوه، فإن للمسلمين حقا لم يدفع إليهم، وإلا فانصبوا لنا ديوانا نحاسبه على حقنا حتى يظهر لكم أن ما نستحقه أكثر مما هو موقوف علينا) [١٣٤].

المبحث الرابع: النظام المالي للأوصياء في الدوله المملوكيه

(١٣٣) مفردها حبس وكان يشرف عليها دودار السلطان، وعدد من المباشرين والكُتَّاب، ويشتمل هذا النوع على أراضٍ من أعمال مصر خُصصت للقيام بمصالح المساجد والزوايا وغيرها من جهات البر، ويتولى الأحباس توزيع الصدقات من ريع هذه الأراضي الموقوفة على المؤسسات الدينية. المقريزي: الخطط المقريزية، ج٣، ص٩٢، ٢٦٧؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٣٨، ج١١، ص٢٥٢، ٢٥٣؛ ضوء الصبح، ص٢٥٠؛ السحماوي: الثغر الباسم، ج١، ص٤١٠، ٤١١؛ حياة الحجي: الناصر محمد بن قلاوون، ص٥٥،٥٧؛ سعيد عاشور: مصر في عصر دولة المماليك البحرية، ص١٥٠.

(١٣٤) المقريزي: السلوك، ج٣، ص٣٤٥، ٣٤٦.

كان النظام المالي أحد أبرز وجوه السياسة في العصر المملوكي، وكذلك أحد أهم أدوات السلطة السياسية لدى الأوصياء في الدوله المملوكيه، فالمال والمنح والعطايا أدوات ناجحة للطبيعة السياسية لذلك العصر كما سيتضح على النحو التالي:

١-الإنعامات والخلع [١٣٥]:

كانت الإنعامات والخلع إحدى أبرز مواضع الإنفاق خلال عهود الوصاية، فالمنح والعطايا كانت إحدى أدوات التمكين السياسي وترسيخ قواعد السلطة آنذاك، والأمثلة متعددة على ذلك، فقد خلع الأمير سلار على الأمير أرجواش نائب [١٣٦]القلعة وأنعم عليه بعشرة آلاف درهم. ومن ناحية أخرى فبعد أن انتهت أزمة غازان في بلاد الشام كما مر بنا في الفصل السابق خرج الأميران بيبرس الجاشنكير وسلار التتري بعسكر مصر من دمشق يريدان مصر، فوصلا قلعة الجبل بعدما ركب السلطان إلى لقائهم وكان يوما مشهودا، وعندما استقر الأمراء سأل الأمير قبجق أن ينعم عليه بنيابة الشوبك [١٣٧]، فأجيب إلى ذلك وخلع

([١٣٥]) الخلع: هي ما يمنحه السلطان على الأمراء و أكابر دولته من الثياب الفاخرة، ومفردها خلعة، وهي أنواع عديدة وكانت تُحفظ بالخزانة الكبرى بالقلعة ثم صارت عند ناظر الجيش. المقريزي: الخطط المقريزية، ج٣، ص٩٩-١٠١؛ ابن كنان: حدائق الياسمين، ص٩٦؛ إبراهيم طرخان: النظم الإقطاعية، ص٤٧٥؛ إبراهيم ماضي: زي أمراء المماليك في مصر والشام، ص ٢٨١؛ سعيد عاشور: المجتمع المصري، ص٢٢٩؛ مصطفى عبد الكريم: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ص١٦٥.

([١٣٦]) أرجواش الأمير علم الدين سنجر المنصوري نائب قلعة دمشق من أيام أستاذه المنصور. كان شهما شجاعا مهيبا لم يخرج مدة ولايته من القلعة ولا سير، وقيده الأشرف وألبسه عباءة ليقتله ثم عفا عنه ثم إنه خلع عليه في رمضان سنة تسعين وستمائة وأعاده إلى نيابة قلعة دمشق.العيني :عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان ج١ ص ٣٥٩ .

([١٣٧])الشوبك: أو حصن الشوبك، بفتح الشين المعجمة وسكون الواو وباء موحدة مفتوحة وكاف في الآخر، قلعة حصينة مرتفعة في أطراف الشام بين عمان وأيلة والقلزم قرب الكرك، وينبع منها عينان للشرب، وقد بطل السفر من مصر إلى الشام بطريقة البرية بعمارة هذا الحصن، وهي اليوم قرية الشوبك في الأردن. ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج٣، ص٣٧٠؛ ابن عبد الحق البغدادي: مراصد الإطلاع، ج٢، ص٨١٨.

عليه، وأنعم على الأمير بكتمر السلاح دار بإنعام " إمرة مائة " في مصر، وعلى الأمير فارس الدين ألبكي الساقي بإمرة مائة بدمشق [١٣٨].

وكذلك سنة ٧٤٢هـ/١٣٤١م أنعم الأمير قوصون الساقي على مائتي مملوك من مماليك الطباق[١٣٩] بإقطاعات كثيرة، والإقطاع هو جزءٌ من الأراضى يمنحه السلطان أو الأمير لمن يرغب من أتباعه[١٤٠]، وعين جماعة منهم للإمريات، وأكثر قوصون الساقي من الإحسان إليهم والإنعام عليهم[١٤١]، ولم يتوقف الأمر عند ذلك، بل إن النصوص تنقل لنا ما قام به قوصون الساقي في هذا الإطار، فقد خلع على جميع الأمراء المقدمين والطبلخاناة، ولبس معهم الأمير قوصون الساقي تشريف النيابة[١٤٢]، وخلع على ثلاثمائة من المماليك السلطانية الأمر الذي وصفته المصادر بقولها: "وكان يوما مشهودا"[١٤٣].

([١٣٨]) المقريزي: السلوك، ج١، ص٩٠٢.

([١٣٩]) طباق: مفردها طبقة، وتتكون من حجرة أو خزانة معدة للنوم، وتوجد بها طاقات أو منافذ للتهوية أو للإضاءة، وقد تعلو الخزانة (حجرة علوية صغيرة)، وكانت الطبقة تتكون في بعض الأحيان من إيوان ودور قاعة وما يُلحق بهما من مرافق ومطابخ. سعاد ماهر: مساجد مصر، ج٤، ص٥٢٥.

([٥]) القلقشندي: صبح الأعشى، ج١٣، ص١٠٤؛ ابن كنان: حدائق الياسمين، ص٩٥؛ إبراهيم طرخان: النظم الإقطاعية، ص٤٧٢؛ عادل عبد الحافظ: نيابة حلب، ج٢، ص ٢٢١.

([١٤٢]) نائب السلطنة: هو أرفع مناصب الدولة بعد السلطان، أى هو القائم مقام السلطان في أغلب أموره، ويُقال له أيضا " النائب الكافل " ، وقد كانت الدولة المملوكية تنقسم إلى جملة أقاليم، كل منها تسمي نيابة، ولذلك كانت تسمي في مجموعها النيابات، فكان لكل منها نائب أطلق عليه نائب السلطنة، وكان له داراً خاصة بالقلعة تسمى دار النيابة، يقيم فيها لسماع القصص والأحكام لمباشرة عمله، وأول من بناها السلطان المنصور قلاوون، وقد كانت النيابة في مصر تنقسم إلى النيابة العظمي، ونيابة الأسكندرية، ونيابتي الوجهين القبلي والبحري، وأخيراً نيابة الغيبة. القلقشندي: صبح الأعشي، ج٣، ص٣٧، ج٤، ص١٦، ١٧؛ عبد المنعم ماجد: نظم

كما كانت الإنعامات تشمل الوصي نفسه ففي سنة ٧٤٢هـ/١٣٤١م أنعم السلطان الناصر أحمد بن الناصر محمد بن قلاوون على الأمير الوصي طشتمر حمص أخضر بعشرة آلاف دينار، وخلع عليه ونزل في موكب عظيم[١٤٤]، كما كان الأوصياء سريعي التدخل في حال وجود أية مشكلات مالية أو قررات مالية قد ينجم عنها نتائج سلبية، فعلى سبيل المثال في سنة ٧٤٧هـ/١٣٤٦م قرر السلطان المظفر حاجي بقطع ما استجد من الرواتب بعد موت السلطان الناصر محمد بن قلاوون، ولكن الوصي الأمير أرقطاي كان له رأي آخر إذ حذره من نتائج هذا الإجراء، وخوّفه سوء عاقبة قطع الأرزاق، وقال له: إن حوادث التاريخ أثبتت أنه ما من أحد ملك شيئا ثم قطعه إلا وأصابه ما يكره في دولته، واستقر الأمر في النهاية على استمرار الرواتب على حالها، ووزع على مباشري الجهات مبلغ ستمائة ألف درهم، وخص مقدمي الدولة منها مائة ألف درهم[١٤٥].

كما كان الوصي في كثير من الأحيان يقوم بمهام رقابية تتعلق بالشأن المالي، وهو ما قام به الأمير شيخون مع الناظر الخاص للأوقاف عندما ثبت فساده فتم القبض عليه

دولة سلاطين المماليك، ج٢، ص٤٣، ٤٤؛ على إبراهيم حسن: دراسات في تاريخ المماليك البحرية، ص٢١٤، ٢١٥؛ ليلي عبد الجواد: نائب السلطنة المملوكية، بحث منشور بمجلة المؤرخ المصري، القاهرة، عدد١، يناير، ١٩٨٨م، ص١٥٩ - ٢١٩.

[١٤٣] وفرق قوصون إقطاعات الأمراء المجردين صحبة قطلوبغا الفخري وعدتهم اثنان وثلاثون أميرا منهم أمراء طبلخاناة ستة عشر وأمراء عشرات ستة عشر وأميران مقدمان، وأعطى قوصون إمرياتهم لأربعة وثلاثين أميرا عوضا عن أولئك، وأخرج قوصون أيضا إقطاعات أولاد الأمراء المجردين ومماليكهم ومن يلوذ بهم من أجناد الحلقة لجماعة سواهم، خلع الأمير قوصون على الأمير الشيخ علي بن دلنجي القازاني أحد الأمراء العشرات المجردين خلعة كاملة بكلفتاه زركش وحياصة ذهب. انظر: المقريزي: السلوك، ج٢، ص٥٨٣؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٣٥

[١٤٤] المقريزي: السلوك، ج٢، ص٦٠٣؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٦١

[١٤٥] المقريزي: السلوك، ج٢، ص٧٣٨؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٠، ص١٦٨.

ووضع في رقبته سلسله يجر بها وكشف رأسه وصدرت التعليمات للناس بالإمعان في إهانته، فتناولته أيدي الناس يضربونه بنعالهم، وهم خدام السلطان ومماليكه، وقبض على أخيه كريم الدين ناظر البيوت، وعلى أصهاره وأتباعه [١٤٦].

وذكر أن الأمير شيخون زادت عظمته وكثرت أمواله وأملاكه ومستأجراته، فقوي بذلك حزبه، وجعل في كل مملكة من جهته عدة أمراء، وأصبح نوابه بالشام في كل مدينة من الأمراء الكبار، وكان يدخل كل يوم ديوانه من إقطاعه وأملاكه ومستأجراته بالشام وديار مصر مبالغ كبيرة جدا، وذلك سوى الإنعامات السلطانية التي ترد إليه من الشام ومصر، وما كان يأخذ من الاموال على ولاية الأعمال [١٤٧]، وذلك حسبما عبرت النصوص.

ومن النفقات التى نقلتها النصوص عن مدة وصاية الأمير الظاهر برقوق ما كان يرافق الوفود الخارجية من نفقات واحتفالات. ففي سنة ٧٨٣هـ/١٣٨١م قدمت رسل

([١٤٦]) المقريزي: السلوك، ج٣، ص٥.

([١٤٧]) المقريزي: الخطط المقريزية، ج٣، ص٣١٤، ٣١٥. من الجدير بالذكر أن السلطان الناصر حسن سنة ٧٥١هـ/١٣٥٠م أصدر مرسوما بإقامة شيخون في دمشق على إقطاع الأمير بيلبك السالمي، وبتجهيز بيلبك إلى القاهرة، فخرج بيلبك من دمشق وأقام شيخون على إقطاعه بها، فما وصل بيلبك إلى القاهرة إلا وقد وصل شيخون إلى دمشق وأقام شيخون على إقطاعه بها، فلما وصل تم تقييد مماليكه واعتقالهم بقلعة دمشق، فأمسك وجهز مقيدا، وأرسل إلى الإسكندرية، فلم يزل معتقلا بها إلى أن خلع السلطان الملك الناصر حسن، وتولى أخوه الملك الصالح صالح، فأفرج عن شيخون ومنجك الوزير وعدة من الأمراء، فوصلوا إلى القاهرة سنة ٧٥٢هـ/١٣٥١م، وأنزل في الأشرفية بقلعة الجبل، واستمر على عادته. انظر: المقريزي: الخطط المقريزية، ج٣، ص٣١٤.

السلطان المعز حسين بن السلطان أويس [١٤٨] متملك بغداد وتبريز، فأنزلوا بالميدان الكبير، وأجري عليهم في كل يوم مبلغ مائتي درهم، ومائتا رطل [١٤٩] لحم، وثماني فردات أوز، ودجاج وسميد ومصبعات وخبز جراية بقدر كفايتهم، ثم مثلوا بين يدي الأمير الظاهر برقوق فخلع عليهم بعدما مد لهم سماطا جليلا أوقف عليه الطواشي [١٥٠]،

مقدم المماليك السلطانية، ولم يتقدمه أمير لفعل ذلك [١٥١].

أما عن مدة وصاية الأمير أيتميش فقد تحكم بشكل كبير في الأمور المالية، فاستدعى شيخ الإسلام والقضاة وأعيان الفقهاء سنة ٨٠١هـ/١٣٩٨م إلى الحراقة [١٥٢].

([١٤٨]) هو السُّلطانُ المعِزُّ حسين بن أويس ابن الشيخ حسن بن حسين بن آقبغا بن أيلكان، المنعوت بالشيخ حسين، سلطان بغداد وتبريز وليَ سلطنة بغداد في حياة أبيه؛ لأنَّ والده أويسًا كان رأى منامًا يدُلُّ على موته في يومٍ مُعَيَّن، فاعتزل المُلْكَ وسَلْطَنَ ولَدَه هذا، ودام الشيخُ حسين هذا في الملك إلى أن قتَلَه أخوه السلطان أحمد بن أويس وملك بغداد.

([١٤٩]) الرطل: يساوى في مصر والقاهرة ١٤٤ درهماً باعتبار الأوقية ١٢ درهماً. ابن الأخوة: معالم القربة، ص٨٠؛ المقريزي: ثلاث رسائل، مطبعة الجواتب، القسطنطينية، ١٢٩٨هـ، ص٣؛ إبراهيم طرخان: النظم الإقطاعية، ص٥١٨.

([١٥٠]) الطواشي: في لغة أهل المشرق هو الخصي من الآدميين، وهي لفظ تركية أصلها بلغتهم طابوس، بباء موحدة قبل الواو، فحرفها العامة وقالوا: طواشي، يقال: إن الخصي ليس برجل ولا امرأة، وأخلاقه مقسمة بين أخلاق النساء وأخلاق الصبيان، ويعتبر نفسه رجلاً بين النساء. العينتابي: القول السديد في اختيار الإماء والعبيد، ص ٥١؛ السيوطي: أكام العقيان في أحكام الخصيان، مخطوط محفوظ بدار الكتب المصرية، القاهرة، تحت رقم ٩٢٧ فقه شافعي، ميكروفيلم ٧٠٦، ص ١، ٢؛ الجاحظ: رسائل الجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٢م، ج٢، ص٢٣.

([١٥١]) المقريزي: السلوك، ج٣، ص٤٤٤، ٤٤٥.

([١٥٢]) حراقة: هي سفينة كبيرة، بها مرامي نيران للنفط يرمي بها العدو في البحر، وقيل: هي المرامي نفسها، واستُخدم نوع منها في النيل أثناء الاستعراضات التي تُقام في الحفلات العامة. الزبيدي: تاج العروس، ج٢٥، ص١٥٤؛ إبراهيم طرخان: النظم الإقطاعية، ص٤٧٨؛ محمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص٦٠.

وقد حضر الأمراء والخاصكية [١٥٣] للمناقشة في شأن الأموال التي خلفها السلطان الظاهر برقوق هل تقسم بين ورثته أو تكون لبيت مال المسلمين؟ واحتدم النقاش وانتهى القرار في الأخير إلى أن يفرق منه السدس في ورثته، وما بقي فيؤل لصالح الدولة [١٥٤].

كما قرر الأمير نظام الملك ططر سنة ٨٢٤هـ/١٤٢١م منح العطايا والنفقات في سائر المماليك، وأقر نفقة السفر لكل واحد منهم مائة دينار. واعطي الأمير تنبك العلاي خمسة آلاف دينار، بالإضافة إلى ما سبق فقد قدم إلى دمشق جماعة من المماليك الظاهرية الذين

---

(١٥٣) الخاصكية: هي طائفة الأمراء الملازمة للسلطان، وكانوا يقيمون بجواره في القلعة، ويكونون حاشيته من حرس وقيادة المحمل الشريف، وكان منهم الأمراء أصحاب المناصب الكبرى، وخاصة تلك المتعلقة بمجلس السلطان واحتياجاته الشخصية، وسقاة الخاصه والخازندارية ورأس نوبة، وقد تمتعت الخاصكية بمكانة كبيرة، فكانوا يدخلون على السلطان في أوقات فراغه وفي خلواته دون إذن، وكان لهم ملابس خاصة بهم تختلف عن بقية الأمراء، بالإضافة إلى أن مرتباتهم كانت أعلى من باقي الأمراء. خيل بن شاهين: زبدة كشف الممالك، ص١١٦، ١١٧؛ ابن كنان: حدائق الياسمين، ص ١٠٨؛ أنطوان خليل: الدولة المملوكية، ص٣١؛ سعيد عاشور: العصر المماليكي، ص٤٣٣؛ طارق عبد الحميد: الجيش في العصر المملوكي، ص٣٥-٣٧؛ محمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص٦٦؛ محمد البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص٤٣؛*Dozy: Supplement Aux Dictionnaires Arabes*، *Tome Premier*، *P.346.*

(١٥٤) المقريزي: السلوك، ج٣، ص.٩٦٩

فروا من السلطان المؤيد أبو النصر شيخ المحمودي ([١٥٥])منذ سنين، فخلع عليهم الأمير ططر، وأنعم عليهم بالمال والخيل والسلاح والقماش ([١٥٦]).

أما فيما يخص الأمير برسباي الوصي؛ ففي سنة ٨٢٤هـ/١٤٢١م ابتدأ في نفقة المماليك، بل وزاد في نفقة المماليك المقررة بالديوان المفرد كل شهر ما يزيد على عشرة آلاف دينار ([١٥٧])

٢-النفقات العسكرية:

تعددت أوجه النفقات في عهد الأوصياء، فكان منها النفقات العسكرية، وكان من ضمن النفقات العسكرية شراء المماليك وتدريبهم لمواجهة الأخطار الداخلية والخارجية، فقد استغل الأمير عز الدين أيبك التركماني حركة البدو لكي يفرض المزيد من الضرائب بهدف جمع الأموال، فقام بزيادة القطيعة([١٥٨]) والقود([١٥٩]) المأخوذة من البدو، وعاملهم بالقسوة

(١٥٥) السلطان الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودي الشركسي، حاكم مملوكي، قدم من الشام إلى القاهرة وعمره ١٢ عاما، وكان ذكيا جميل الصورة فعينه السلطان فرج بن برقوق في الحرس السلطاني ثم جعله أميرا للحج ثم نائبا للشام تولّى الخليفة العباسي المستعين بالله الحكم بعد مقتل السلطان فرج بن برقوق لمدة ستة أشهر ثم عين الأمير شيخ المحمودي نائبا للملك في ٨ ربيع أول 815هـ ثم عيّنه شريكا في المُلك ولقّبه بالملك المؤيد ثم استطاع الملك المؤيد الانفراد بالسلطنة في أوائل عام 815هـ1412 / م، وأبعد الخليفة العباسي المستعين إلى الإسكندرية وعين أخاه داوود خليفة مكانه في عام 818هـ العبادي : في التاريخ الايوبي والمملوكي ،مكتبه النور .

([١٥٦]) المقريزي: السلوك، ج٤، ص٥٧٥، ٥٧٩؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٤، ص٦، ٧.

([١٥٧]) المقريزي: السلوك، ج٤، ص ٥٩٤، ٥٩٥.

([١٥٨]) القطيعة: هي ما يفرضه السلطان على ولاية أو ناحية من المال سنوياً أو يقرره في أحوال غير عادية بالغرامة الحربية.؛ محمد فتحي الشاعر: الشرقية في عصر سلاطين الأيوبيين والمماليك، ص٥٣.

([١٥٩]) القود هو ما تبعث به قبائل العرب إلى السلاطين من الهدايا، ويتمثل في الخيل والإبل، محمد فتحي الشاعر: الشرقية، ص ٥٣.

والقهر[١٦٠]، وبذلك كانت سياسة السلطة الحاكمة في مصر على الطبقات الشعبية سياسة سلبية، فقيام الأمير عز الدين أيبك التركماني بفرض مزيد من الضرائب على البدو ما كان إلا استغلالا للأوضاع السياسية من أجل زيادة الضرائب على العوام.

إن القضاة والفقهاء لم يعترضوا على تصرف السلطان الناصر محمد بن قلاوون في أخذ أموال اليتامى لتجهيز الجيش لمحاربة المغول ويصف ابن كثير ظروف التجهيز والتكوين للجيش المصري، فيقول: "كان وقتاً شديداً وحالاً صعباً، وامتلاء البلد بالنازحين من بلادهم واقترضوا أموال اليتامى والأسرى لأجل تقوية الجيش [١٦١].

وبعد أن قام السلطان الناصر محمد بن قلاوون بتجهيز الجيش في ظل تلك الظروف الاقتصادية الصعبة، خرج عام ٦٩٩هـ/ ١٢٩٩م، ومعه الخليفه الحاكم بأمر الله والقضاة الأربعة، وسائر الأمراء والعسكر [١٦٢].

وفي ذات السياق لدينا العديد من الأمثلة، فعندما وقع العزم على سفر السلطان الناصر محمد بن قلاوون والأمراء، واستدعيت الجند من بلاد مصر، ألزم الوزير سنقر الأعسر [١٦٣] بتجهيز الأموال، فتحسن سعر الخيل والجمال والسلاح وآدوات السفر،

([١٦٠]) المقريزي: السلوك، ج١، ص ٣٨٨؛ محمد فتحي الشاعر، الشرقية في عصر سلاطين الأيوبيين والمماليك، ص ٥٣.

([١٦١]) البداية والنهاية، ج١٤، ص ٦.

([١٦٢]) ابن إياس: بدائع الزهور، ج١، ط١، ص ٤٠٣.

([١٦٣]) الأمير سنقر الأعسر: هو الأمير شمس الدين سنقر الأعسر المنصوري، كان مملوك الأمير عز الدين أيدمر الظاهري نائب الشام ودوداره، ثم صار للملك المنصور قلاوون، فولاه نيابة الأستادراية ثم شد الدواوين بدمشق، وصودر ذات مرة في عهد الأشرف خليل، وتولى الوزارة في عهد المنصور حسام الدين لاجين، توفي سنة ٧٠٨هـ/١٣٠٨م. الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٥، ص٢٩٧-٢٩٩؛ ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ج٢، ص١٧٧، ١٧٨؛ ابن تغري بردي: الدليل الشافي، ج١، ٣٢٧؛ المنهل الصافي، ج٦، ص٩٦ - ٩٨؛ محمد الأشقر: الوزارة والوزراء، ص١٠٠، ١٠١.

وانتظر العسكر النفقة لهم. فاجتمع الأمراء لذلك، ولكن التدخل السريع جاء من الوصيين بيبرس الجاشنكير وسلار التتري، فلم يوافقا على اعتماد هذه الميزانية خوفاً من الندرة أو من إتلاف المال"[١٦٤].

وكذلك فقد أنفق الأمير الوصي قوصون الساقي في العسكر لكل (مقدم ألف) من الأمراء ألف دينار، ولكل (أمير طبلخاناة) خمسمائة دينار، ولكل(أميرعشرة) مائتا دينار، ولكل (مقدم حلقة) خمسون ديناراً، ولكل (جندي) خمسة عشر ديناراً[١٦٥].

٣- العملة:

كان للعملة تاريخ طويل مع الأوصياء؛ فنجد على سبيل المثال ما قام به المعز عز الدين أيبك إذ ضرب النقود باسمه مقروناً بالسلطان الصالح نجم الدين أيوب وكذلك قام بصك العملة مثل الدينار باسم السلطان الأشرف موسى (٦٤٨- ٦٥٠هـ/ ١٢٥٠- ١٢٥٢م)، وكان الشكل العام له دائرتان متبادلتان حول كتابات كل من مركز الوجه والظهر، ويحيط بكتابات الهامش في كل منهما دائرة واحدة، وجاءت نصوص الوجه مكتوباً عليها في الهامش:(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ضرب هذا الدينار بالقاهرة سنة تسع وأربعين

---

[١٦٤] المقريزي: السلوك، ج١، ص٨٧٨، ٨٧٩.

[١٦٥] المقريزي: السلوك، ج٢، ص٥٧١، ٥٧٢.

وستمائة) والهامش أيضاً (لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله)[١٦٦].

وقام المعز عز الدين أيبك بصك النقود (٦٤٨-٦٥٥هـ/١٢٥٠–١٢٥٧م)، فكتب على الوجه في المركز: (الخليفة المستعصم بالله أبو أحمد عبدالله أمير المؤمنين)، أما الهامش فكتب عليه: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ضرب هذا الدينار بالقاهرة سنة ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م)، والظهر مكتوب عليه في مركزه: (الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل) [١٦٧] وكذلك فعل ابنه المنصور علي الذي قرن اسمه باسم الخليفة العباسي المستعصم [١٦٨].

كما كان من مظاهر النظام المالي تسعير العملة النقدية، إذ كانت الدولة المملوكية على عهد الأوصياء تتدخل لتسعير العملة بين الحين والآخر مما كان يؤدي إلى إلحاق الضرر بالناس بسبب نقص قيمة العملة الموجودة لديهم ففي سنة ٧٦٦هـ/١٣٦٥م وقع غلاء الأسعار بمكة المكرمة حتى بيعت غرارة القمح - وهي مائة قدح مصري - بأربعمائة درهم وثمانين درهما، وعز وجود الأقوات بها ، فهلك جماعة كثيرة جوعا، وخرج أكثر أهلها عنها فجهز الأمير يلبغا العمري إلى مكة المكرمة ألفي أردب[١٦٩] قمحا، وواصل الإرسال حتى حمل

---

(١٦٦) رأفت محمد: النقود الإسلامية منذ بداية القرن السادس وحتى نهاية القرن التاسع، مكتبة زهراء الشرق القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠.، ص ١٣٠- ١٣١.

(١٦٧) رأفت محمد: النقود الإسلامية، ص١٣١.

(١٦٨)عبدالرحمن فهمي: النقود العربية، ص ٨٧؛ *Stanly lane- Boole: Catalogue of the collection of Arabic coins preserved in the khetivial liberality at Cairo.،P.242*

(١) الأردب: هو مكيال مصري ضخم يتألف من ٦ ويبات، كل ويبة ٨ أقداح كبيرة أو١٦ قدحاً صغيراً. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص ٤٥٥؛ إبراهيم طرخان: النظم الإقطاعية، ص٥١٦.

من مصر إلى مكة المكرمة اثنا عشر ألف أردب، فرقت كلها على الناس ، فعم النفع بها وكتب مرسوم الأمير يلبغا العمري بإسقاط ما يؤخذ من مكوس[١٧٠] الحاج بمكة المكرمة فيما يحمل إليها من البضائع ما عدا مكس تجار اليمن ومكس الخيل ومكس تجار العراق وعوض أمير مكة المكرمة عن ذلك إقطاعا بمصر، وأرسل إليه مبلغ أربعين ألف درهم فضة[١٧١].

وفي ذات الإطار سنة ٧٨٣هـ/١٣٨١م نادى الأمير جركس الخليلي ([١٧٢])في القاهرة ومصر أن تكون الفلوس[١٧٣] بالمسكوكات النحاسية كل رطل بدرهم وثلث بعد ما كان بدرهم ونصف ، وفرق في الصيارفة فلوسا استجد ضربها، فمنها فلس زنته أوقية ليكون كل

([١٧٠]) مكس: جمعها مكوس، وهي كلمة قديمة مشتقة من اللفظ السرياني ماكسو makso، وهي تفيد معنيين الأول: أطلقت على الضرائب التي تجبى من التجارة والصناعة، وهذه الكلمة كانت معروفة للعرب منذ القدم، فكانت تطلق على الدراهم التي تؤخذ من بائعي السلع في الأسواق، والمعنى الثاني: تطلق فيه الكلمة على الجهة التي تجبى فيها المكوس، ومن أمثلتها ذلك الموضع الذي عرف باسم المكس أو المقس وكانت في الأصل قرية أم دنين، وموضعها الآن حديقة الأزبكية حيث كانت مقر صاحب المكس، وقد أطلق على المكوس تسميات مختلفة، فعرفت باسم الهلالي، كما عرفت أيضًا باسم المرافق والمعادن، إلى أن عرفت في العصر العبيدي بكلمة مكس، وجمعها مكوس. المقريزي: الخطط المقريزية، ج١، ص٢٩٧، ٢٩٨، ج٢ ص٦٤٦، ٦٤٧؛ إبراهيم طرخان: النظم الإقطاعية، ص٥٠٥-٥٠٩.

([١٧١]) المقريزي: السلوك، ج٣، ص٩٨.

(١٧٢) لأمير جهاركس الخليلي، كان أمير من أحد امرا الدولة المملوكية في عهد السلطان الظاهر برقوق، ومقربا إليه؛ ويحمل لقب «أمير أخور». مات في دمشق في القرن السادس عشر، وتركت جثته في الخلاء؛ لتلتهمها الحيوانات البرية. أنطوان خليل: الدولة المملوكية، ص٣١

(١٧٣) درهم فلس: هي المسكوكات النحاسية، أي: الفلوس، والتي انكمشت أمامها الدراهم الفضية، وتقرر أن يُستبدل كل درهم نقرة (فضة) بستة من الفلوس النحاس، وهي التي ضربها الملك الكامل محمد الأيوبي. شفيق مهدي: مماليك مصر والشام، ص٢٥. والفلس: جمعها فلوس، وكانت على نوعين في مصر، أحدهما المطبوع بالسكة، والثاني غير المطبوع، والثاني كان عبارة عن قطع مكسرة من النحاس الأحمر أو الأصفر ويعبر عنها بالعتق، والفلوس لم تكن عربية الأصل، بل هي لفظ يوناني معرب، وقد أخذته اليونانية من اللاتينية ومعناه كيس النقود. محمد البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص٢٦٣.

أربعة بدرهم وكل فلس بربع درهم ومنها ما زنته نصف أوقية[١٧٤] فكل ثمانية بدرهم حساباً عن كل فلس ثمن درهم، ومنها ما يكون كل ثمانية وأربعين فلسا بدرهم، فلم يتم له ذلك، وعليه توقفت أحوال الناس، وبطل بيعهم وشراؤهم، وقل جلب البضائع من المآكل وغيرها، فنادى الأمير الظاهر برقوق بإبطال ذلك واستمرار النقود على حالها[١٧٥].

مما سبق يتضح أهمية السياسة المالية في الفكر السياسي والممارسات السياسية للأوصياء في الدولة المملوكية.

المبحث الخامس: النظام الإداري للأوصياء في الدولة المملوكية.

قام بعض أوصياء الدولة المملوكية ببعض التعديلات في النظم الإدارية سواء بالتعيين أو بالعزل في وظائف الدولة المملوكية، ولدينا العديد من الإشارات في هذا الصدد، وكانت كالتالي:

تظهر أولى الإشارات لدينا في النصوص المتزامنة مع القرارات المؤثرة للوصي الأول المعز عز الدين أيبك التركماني ففي سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م استناب المعز عز الدين أيبك التركماني بديار مصر الأمير علاء الدين البندقدار، فواظب الجلوس بالمدرسة الصالحية مع نواب دار العدل [١٧٦] لترتيب الأمور، وكشف المظالم، ونودي بإبطال الخمور، وفي سنة

([١٧٤]) أوقية: والجمع أواقي، وهي عملة تساوي ١٠ دراهم أو ١٢ درهماً. الأخوة: معالم القربة، ص٨٠؛ إبراهيم طرخان: النظم الاقطاعية، ص٥١٨.

([١٧٥]) المقريزي: السلوك، ج٣، ص٤٥٣، ٤٥٤.

([١٧٦]) دار العدل: عرف إيوان قلعة الجبل بدار العدل فيما بعد، أنشأه السلطان المنصور قلاوون، وجدده ابنه الملك الأشرف خليل، فعُرف بالقاعة الأشرفية، واستمر جلوس نائب دار العدل به إلى أن هدمه أخوه السلطان الناصر محمد بن

٦٤٩هـ/١٢٥١م عزل السلطان المعز عز الدين أيبك التركماني قاضي القضاة ابن القطب الحموي عن قضاء مصر، وعين بدلا منه قاضي القضاة بدر الدين السنجاري [١٧٧].

كما قام السلطان المعز عز الدين أيبك التركماني بتولية الوزارة لشرف الدين أبي سعيد هبة الله بن صاعد الفائزي [١٧٨]، وكان يلقب بالأسعد، وفي ذلك يقول المقدسي: "لقد عدل عز الدين ايبك الوزارة من وزارة العلماء إلى وزارة الأقباط"[١٧٩]، ولم يضيع الفرصة وأخذ في أسباب جمع الأموال الكثيرة، فقام بإقرار الأموال على التجار وأصحاب العقار وضمانات سماها الحقوق السلطانية والمعاملات الديوانية.

وكان الوصيان بيبرس الجاشنكير وسلار التتري يجالسان السلطان الناصر محمد بن قلاوون في يومي الخميس والاثنين، في حضور الأمراء الكبار، ويعرض الأميران بيبرس الجاشنكير وسلار التتري عليه ما يريدانه، ثم يشاوران فيه الأمراء ويقولان: (السلطان قد رسم بكذا أو قرر كذا)فتصبح هذه القرارات نافذة دون أن يكون للسلطان حول ولا قوة، ومن المثير للسخرية أنه بعد ذلك يخرج الجمع، فيجلس بيبرس الجاشنكير وسلار التتري

قلاوون، ثم أعاد بناءه في سنة ٧٣٠هـ/١٣٢٩م وزاد فيه وأنشأ به قبة جليلة وأقام عمدا عظيمة ونصب في صدره سرير الملك، وكان لليوان رحبة فسيحة فجاء من أجل المباني. المقريزي: الخطط المقريزية، ج٣، ص٤٧، ٤٨؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٩، ص٥١، هامش ١؛ ماجدة الغمري: قلعة الجبل، ص٢٢؛ *Willaim Lyster: The Citadel of Cario*، *p. 17.*

[١٧٧] المقريزي: السلوك، ج١، ص٣٧٣، ٣٨٠.

[٣] كان الفائزي مسيحيا ثم أسلم أيام الملك الكامل الأيوبي، وتولى عدة وظائف في عهدي العادل الثاني والصالح نجم الدين أيوب، ودخل بعد ذلك في خدمة عز الدين أيبك. زبيدة محمد عطا: اليهود في العالم العربي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى،٢٠٠٣، ص١٢٩.

[١٧٩] نزهة الناظرين فيمن ولى مصر من الخلفاء والسلاطين، ص ٣٧.

ويتصرفان في سائر أمور المملكة، ويتفقان على قلة مصروف السلطان[١٨٠]، والجدير بالذكر أن الأمراء كانوا يجتمعون بقلعة الجبل في يوم الموكب عند السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، ويقررون الأمور مع الوصيين بيبرس الجاشنكير وسلار التتري، فتصدر القرارات عنهما وعلى سبيل المثال فقد أصدرا قرارات بتعيين الأمير سيف الدين بكتمر أمير جاندار، وأنعما على الأمير موسى بن الصالح علي بن قلاوون بإمرة، وعلى كل من عز الدين أيدمر الخطيري ، وبدر الدين بكتوت الفتاح ، وعلم الدين سنجر الجاولي، وسيف الدين تمر، وعز الدين أيدمر النقيب ، بإمرة، وأنعما على ناصر الدين محمد بن الشيخي والي القاهرة بإمرة، واستقر واليا بالجيزة وأعمالها مع ولاية القاهرة، وأنعما على كل من لاجين أخي سلار وأقطاي الجمدار، وأنعما بإمرة عشرة على بكتوت القرماني.

وقام الأمير بيبرس الجاشنكير بتأمير بعض المماليك البرجية، بعدما قويت شوكتهم، وصارت لهم الفرق الكبيرة وتردد الناس إليهم في الأشغال وصار في مواجهته الأمير سلار التتري ومعه الصالحية والمنصورية إلا أن البرجية كانوا أكثر وأقوى ووقع الحسد بين الطائفتين، وصار الأمير بيبرس الجاشنكير إذا أمر أحدا من البرجية وقف أصحاب الأمير سلار التتري وطلبا منه أن يؤمر منهم واحدا، وأخذ الأمير سيف الدين برلغي يشارك الأمير بيبرس الجاشنكير والاميرسلار التتري في الأمر والنهي وقويت شوكته والتف عليه المماليك الأشرفية. [١٨١].

---

[١٨٠] المقريزي: السلوك، ج١، ص٥٧٨، ٥٧٩

[١٨١] المقريزي: السلوك، ج١، ق٣، ص٦٧٣، ٦٧٤،

ومن القرارات الإدارية الشهيرة التي صدرت عن الوصي الأمير بيبرس الجاشنكير أنه عين في منصب الأستادارية [١٨٢] الأمير علم الدين سنجر الجاولي، وحكمه في سائر أمورها، ولم يترك للسلطان الناصر محمد بن قلاوون حتى حق الاستدعاء لما يريده من مأكل أو مشرب لشدة الحجر عليه، وصار ليس له من السلطنة سوى الاسم [١٨٣].

كما أصدر الوصي سلار التتري قرارا إداريا بتعيين قاضي القضاة بدر الدين محمد بن جماعة قضاء دمشق عوضا عن إمام الدين عمر بن سعد الدين الكرجي بعد وفاته، وولى قاضي القضاة شمس الدين محمد بن صفي الدين الحريري قضاء الحنفية، وولى الأمير سيف الدين أقبجا المنصوري شاد الدواوين [١٨٤]، وولى أمين الدين يوسف الرومي حسبة [١٨٥] دمشق، وولى تاج الدين بن الشيرازي نظر الدواوين [١٨٦].

([١٨٢]) الأستدارية: كلمة فارسية معربة (استذ بمعنى: الأخذ، ودار بمعنى: ممسك)، هي وظيفة من وظائف أرباب السيوف، ويتولى صاحبها شؤون بيوت السلطان كلها من المطابخ والشراب والحاشية والغلمان، ويكون له مطلق التصرف في استدعاء ما يحتاجه كل من في بيت السلطان من النفقات والكساوى. القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٤، ص٢٠؛ السحماوي: الثغر الباسم، ج١، ص٣٩٤؛ ابن كنان: حدائق الياسمين، ص١٢٠؛ إبراهيم طرخان: النظم الإقطاعية، ص٤٧١؛ أنطوان خليل: الدولة المملوكية، ص٧١؛ محمود رزق: موسوعة عصر سلاطين المماليك، ج١، ق١، ص٨٧.

([١٨٣]) المقريزي: السلوك، ج١، ص٦٧٨، ٦٧٩،

([١٨٤]) شاد الدواوين: كانت مهمته مرافقة الوزير، والتفتيش على مالية الدواوين وعلى موظفيها، وعادته إمرة عشرة. العمري: مسالك الأبصار، ج٣، ص٣٠٩، ٣١٠؛ السبكي: معيد النعم، ص٢٨؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٢٢؛ ضوء الصبح، ص٢٤٨؛ السحماوي: الثغر الباسم، ج١، ص٤٠١؛ سعيد عاشور: العصر المماليكي، ص٤٤٨، ٤٤٩؛ محمد البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص١٩١؛ محمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص٩٥.

([١٨٥]) الحسبة: كان شأنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أي: وظيفتها ترقب تنفيذ أحكام الشريعة في المجتمع، منها مراقبة متابعة المصلين والأئمة في المساجد وإلزام النساء باتباع شرع الله، كما يقوم متولها بالإشراف على الأسواق ومتابعة الحرفيين، ويعمل على منع المضايقات في الطرقات، وغيرها من الأعمال. للمزيد انظر. الماوردي: الأحكام

وبلغ من نفوذ الأوصياء إصدار قرارات بالتعيين في منصب الوزاره، فقد تشاور الوصيان بيبرس الجاشنكير وسلار التتري في أمر الوزارة ومن يصلح لها، وفي النهاية صدر قرار الوصي سلار التتري بتعيين التاج بن سعيد الدولة([١٨٧])، فاعتذر الأخير، وأشار بوزارة ضياء الدين بن أحمد النسائي ناظر الدواوين، فاستدعي وخلع عليه فباشر ضياء الدين الوزارة، وليس له منها سوى الاسم، وصار التاج بن سعيد الدولة يدبر الأمور ولا يصرف شيئا إلا بخطه، ولا يفعل أمر إلا بحكمه [(١٨٨)].

وكذلك خلع الوصيان بيبرس الجاشنكير وسلار التتري على التاج بن سعيد الدولة، بتعيينه في منصب المشير والناظر على الوزارة وسائر النظار ومنفردا بنظر البيوتات والأشغال المتعلقة بالأستادارية ونظر الجيوش، وكتب له توقيعا لم يكتب لمتعمم مثله. وصار يجلس بجانب الأمير سلار التتري فوق كل متعمم من الكُتاب، ونفذ حكمه، ومضى قلمه في سائر أمور الدولة [(١٨٩)].

السلطانية، ص٣١٥-٣٣٩؛ السبكي: معيد النعم، ص٦٥، ٦٦؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج٣، ص٤٨٣، ج٤، ص٧٣؛ محمد البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص٣٠٢.

([١٨٦]) المقريزي: السلوك، ج١، ص٧٠١.

([١٨٧]) تاج الدين ابن سعيد الدولة القبطي كان يقال له أحمد الكاتب وكان مقدما عند بيبرس وعرض عليه الوزارة فامتنع فجعله مشيرا على الضياء النسائي وكان لا يخالط أحدا ولا يقبل هدية وكانت وفاته في أوائل رجب سنة ٧٠٩ المقريزي: السلوك، ج٢ ص٤٠٨ .

([١٨٨]) المقريزي: السلوك، ج٢، ص٢٦، ٢٧.

([١٨٩]) المقريزي: السلوك، ج٢، ص٢٧.

وكذلك من القررات الإدارية الصادرة من الأوصياء، ماصدر في سنة ٧٤٢هـ/١٣٤١م عن الأمير قوصون الساقي على واحد وعشرين رجلا من المماليك السلطانية بإمريات، منهم ستة (طبلخاناة) [١٩٠]، والبقية (عشرات) [١٩١].

ولم يكن الأمير يلبغا الوصي بأقل نصيباً بالمشاركة في هذ الإطار؛ فقد استدعى الأمير يلبغا الوصي سنة ٧٦٣هـ/١٣٦٢م جماعة من الفقهاء [١٩٢] إلى مخيم الأمير يلبغا الوصي ، فعين طائفة منهم، وخلع على برهان الدين إبراهيم بن الأخنائي محتسب القاهرة في منصب قاضي القضاة المالكية عوضا عن أخيه تاج الدين بعد موته، كما خلع على صلاح الدين عبد الله البردمي مدرس المدرسة الأشرفية، واستقر بمنصب محتسب القاهرة بديلاً عن البرهان الأخنائي، وخلع على تاج الدين محمد شاهد الجمالي، واستقر في نظر المارستان

(١٩٠) أمير طبخاناة: كان يُطلق عليه أيضا أمير أربعين، هو الأمير الذي له الحق في دق الطبول في مواكبهم السلطانية، لكل منه من أربعين إلى ثمانين فارساً على ألا يقل عن أربعين فارساً، ومن الممكن أن يضم بعض العشرات أو ضم إمرتي عشرين أو أربع عشرات، ومن حقه أن يشتري أربعين مملوكاً على الأقل ليشترك بهم في الجيش. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص١٥؛ السحماوي: الثغر الباسم، ج ١، ص٣٨٥؛ طارق عبد الحميد: الجيش في العصر المملوكي، ص٢٣.

(١٩١) المقريزي: السلوك، ج٢، ص٥٧٢؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٢٦.

(١) من الحوادث ذات الدلالة على مكانة الفقهاء أنه في سنة ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م عزل قاضي القضاة موفق الدين الحنبلي نفسه من القضاء من أجل أن الأمير يلبغا استدعاه فوافاه القاصد وهو نائم فلم يتمهل عليه حتى ينتبه، بل أمر به فأيقظ وقد انزعج، فغضب لذلك وعزل نفسه، وأبى أن يجيب القاصد أو يجتمع به، فشق ذلك على الأمير يلبغا، وما زال يرسل إليه ويترضاه حتى رضي، ثم استدعى إلى مجلس السلطان، وخلع عليه وأعيد إلى وظيفة القضاء على عادته. انظر: المقريزي: السلوك، ج٣، ص٨٣؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج١١، ص٢٣.

المنصوري[١٩٣]، عوضا عن البرهان الأخنائي، كما أصدر قرارا بتعيين الشيخ شرف الدين بن عسكر البغدادي في نظر الخزانة الخاص، بدلاً عن التاج الأخنائي[١٩٤].

واستمرارا في الحديث عن القرارات الإدارية الكبيرة والمؤثرة التي أصدرها الأوصياء، وأثرت بشكل كبير في حركه العمل بالدولة، فقد خلع الأمير أينبك البدري سنة ٧٧٩هـ/١٣٧٧م على الأمير صلاح الدين خليل بن عرام، واستقر حاجب الحجاب[١٩٥].

كما خلع على الأمير جمال الدين عبد الله بن بكتمر، واستقر حاجبا ثانيًا، وأنزل الأمير أينبك البدري عام ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م مائتي مملوك، أسكن مائة بمدرسة السلطان

---

(١٩٣) المارستان المنصوري: هذا المارستان يقع بين القصرين بالقاهرة، كان قاعة ست الملك ابن العزيز بالله نزار، ثم عرف بدار الأمير فخر الدين جهاركس، ثم عرف بالدار القطبية نسبة للملك المفضل قطب الدين أحمد بن الملك العادل الأيوبي، ولم تزل بذريته إلى أن أخذها السلطان المنصور قلاوون من مؤنسة خاتون ابنة الملك العادل، وعوضت عن ذلك بقصر الزمرد سنة ٦٨٢هـ/١٢٨٣م. ورسم بعمارتها مارستات وقبة ومدرسة، وتولى الشجاعي أمر عمارتها وذلك سنة ٦٨٣هـ/١٢٨٤م ومساحته ١٦٠ فدان، ويتكلف ما يقارب ألف ألف درهم في كل سنة، ورتب له كل ما يحتاجه من أطباء وعمال وأدوات وكافة المستلزمات. ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام والعصور، ص٥٦، ١٢٦-١٢٨؛ شافع بن علي: الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٨م، ص١٦٦-١٦٨؛ العمري: مسالك الأبصار، ج٣، ص٢٨٢؛ جمال الدين الشيال: تاريخ مصر الإسلامية، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٦م، ج٢، ص١٧١، ١٧٢؛ حمدي عبد المنعم: دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص٢٧٨؛ *Ahmed Ragab: The Medieval Islamic Hospital Medicine، Religion، and Charity، United States of America، 2015، pp. 107-119.*

(١٩٤) المقريزي: السلوك، ج٣، ص٧٣.

(١٩٥) حاجب الحجاب: مشتقة من وظيفة الحاجب، وهي تعني كبير الحجاب ورئيسهم، وهو من يقوم بالنظر بحكم الشرع في المخاصمات بين الأجناد واختلافهم في أمور الإقطاعات، ومن أعماله أيضا النظر في صندوق المال الذي يُجمع من جهات ليُفرق على الأرامل والفقراء. السبكي: معيد النعم، ص٤٠، ٤١؛ ابن كنان: حدائق الياسمين، ص١١٩؛ محمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية، ص٥٩؛ محاسن الوقاد: الحجابة زمن سلاطين المماليك، ص٢٠١.

حسن، ومائة بمدرسة الأشراف، وفي سنة ٧٨٠هـ/١٣٧٨م استقر أوحد الدين عبد الواحد بن إسماعيل في نظر الخزانة الخاص بعد موت علاء الدين علي بن عرب [١٩٦].

وفي ظل وصاية الأمير الظاهر برقوق ظهرت العديد من القرارات الإدارية المؤثرة، فقد خلع الأمير الظاهر برقوق سنة ٧٨٠هـ/١٣٧٨م على صديقه الأمير أيتميش البجاسي، وتم تعيينه في منصب أمير آخور [١٩٧] بدرجة وظيفية تعرف بأمير مائة وتقدمة ألف [١٩٨]، وكان للظاهر برقوق مطلق الحرية في التعيين لمن يريد في الوظائف العامة أو في الخدمة السلطانية [١٩٩] أو في مجلس الأمير الظاهر برقوق، فكان هذا حال الناس جميعا فيما يريدونه من الدولة، فكان الظاهر برقوق من خلال سلطته ونفوذه هو الدولة الحقيقية فصار صاحب الأمر والنهي [٢٠٠].

([١٩٦]) المقريزي: السلوك، ج٣، ص٣٠٩، ٣١٠.

([١٩٧]) أمير آخور: لفظ فارسي مُعرب مركب من لفظين، فأمير معروف، وآخور بالفارسية بمعنى إسطبل، ويلتحق بذلك الآخورجي، بمعنى المشرف على علف وإطعام الخيل، وأمير آخور هو المسؤول عن كل ما بالإسطبلات، وله أتباع منهم أمير آخور ثاني، وغالباً يكون من أمراء الطبلخانة وأمراء العشرات. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص١٨،١٩؛ السحماوي: الثغر الباسم، ج١، ص٣٨٩؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٧، ص١٨٥؛ ابن كنان: حدائق الياسمين، ص١١٥؛ إبراهيم طرخان: النظم الإقطاعية، ص٢١٢.

([١٩٨]) أمير مائة مقدم ألف: يطلق عليهم أيضا: "أمراء المئين مقدمو الألوف"، أو "الأمراء المقدمين" أو "الأمراء الألوف" أي: أن لكل منهم مائة فارس، وقيادة ألف جندي من أجناد الحلقة في الجيش، وكانت أعدادهم تختلف من سلطان لآخر وعلى حسب درجاتهم، وكان لهم علامات تشريفية خاصة بهم. القلقشندي: ضوء الصبح، ص٢٤٤؛ السحماوي: الثغر الباسم، ص٣٨٤؛ طارق عبد الحميد: الجيش في العصر المملوكي، ص٢٢؛ عبد المنعم ماجد: نظم دولة سلاطين المماليك، ج٢، ص١٤؛ ع محمد البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص٤٢؛ محمود رزق: موسوعة عصر سلاطين المماليك، ج١، ق١، ص٨٥.

([١٩٩]) الخدمة السلطانية: يقصد بالخدمة الحضرة السلطانية أو مثول الأمراء بين يدي السلطان لتقديم فروض الطاعة والولاء أو عرض أمر من أمور الدولة عليه. المقريزي: الخطط المقريزية، ج٣، ص٥٣-٥٦؛ سعيد عاشور: المجتمع المصري، ص٨٥، ٨٦.

([٢٠٠]) المقريزي: السلوك، ج٣، ص٣٢٣.

والجدير بالذكر أن الوظائف صارت تباع بالمال في عهد وصاية بعض الأمراء كالوصي الظاهر برقوق إذ أصبحت الولايات كلها من القضاء والحسبة وولاية الحرب في الأعمال والكشف [٢٠١] وسائر الوظائف لا سبيل أن ينالها أحد إلا بمال يقوم به، الأمر الذي أدى إلى فساد إداري كبير، حيث قال المقريزي "فتطاول كل نذل وسفلة إلى الأعمال الجليلة والرتب العليا، فدهى الناس من ذلك بداهية دهياء أوجبت خراب مصر والشام"[٢٠٢].

وبذلك فقد ساهم الأوصياء بشكل كبير في القرار الإداري للدولة المملوكية، بل يمكن القول: إن القرار الإداري انحصر فيهم، فقد شكلوا السيادة العليا للدولة، ولم يكن للسلطان في ظل وجودهم إلا الصفة الاسمية عديمة القيمة والنفوذ.

(٢٠١) الكاشف: جمعها كشاف، والكاشف هو الذي يشرف على أحوال الأراضي والجسور؛ ولذلك كان يسمى كاشف الجسور أو كاشف التراب، وكان بالوجه القبلي مقرهم ثلاثة: الفيوم والصعيد الأدنى والصعيد الأعلى، وبالوجه البحري اثنان مقرهما الشرقية والغربية، وكان الكاشف من أمراء طبلخاناة. القلقشندي: صبح الأعشى، ج٤، ص٢٥، ٦٥؛ محمد البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص٢٨٢.

(٢٠٢) السلوك، ج٣، ص٣٢٣، ٣٢٤.